Edited by Foxit PDF Editor
Copyright (c) by Foxit Corporation, 2003 - 2010
For Evaluation Only.

دروس مهمة لعامة الأمة في العقيدة

تأليف

أحمد بن محمد بن الصادق النجار

Edited by Foxit PDF Editor
Copyright (c) by Foxit Corporation, 2003 - 2010
For Evaluation Only.

Edited by Foxit PDF Editor
Copyright (c) by Foxit Corporation, 2003 - 2010
For Evaluation Only.

حقوق الطبعة محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

الإيداع
ح أحمد بن محمد النجار،١٤٣٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النجار.احمد محمد
دروس مهمة لعامة الأمة في العقيدة/أحمد محمد النجار_
المدينة المنورة، ١٤٣٦هـ
ص ٢٤ سم
ردمك:٩-٨٥٧١-٠١-٦٠٣-٩٧٨
١-العقيدة الاسلامية.العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٣٦/٦٤٢٧

رقم الإيداع ١٤٣٦/٦٤٢٧
ردمك: ٩-٨٥٧١-٠١-٦٠٣-٩٧٨

Edited by Foxit PDF Editor
Copyright (c) by Foxit Corporation, 2003 - 2010
For Evaluation Only.

Edited by Foxit PDF Editor
Copyright (c) by Foxit Corporation, 2003 - 2010
For Evaluation Only.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذه دروس في العقيدة جعلتها لعامة الأمة؛ تسهيلًا لهم لفهم ما يجب عليهم، وهي دروسٌ ميسرةٌ -بإذن الله تعالىٰ- ليس فيها تعمقٌ، وليس فيها ذكرُ المخالفين لأهل السنة والجماعة، ولا ذكر شبهاتهم، وإنما اقتصرت علىٰ مسائل مهمة في العقيدة؛ مأخوذة من كتاب الله، ومن سنة رسول الله ﷺ، وما أجمع عليه سلف الأمة.

والاعتناء بالعقيدة واجب علىٰ كل مسلم؛ إذ فيها نجاة الإنسان في الدنيا من الشبه والشهوات، وفي الآخرة من العذاب.

وفيها تحقيق للغاية التي من أجلها خُلِقَ الثقلان.

والاعتناء بالعقيدة من علامة أهل الإيمان، بخلاف أهل الكفر الذين قال الله فيهم: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ [الزمر:٤٥].

فقد وصف الله حالهم بأنه إذا ذكر الله وحده نفرت قلوبهم وكرهت، وإذا ذكرت أصنامهم يستبشرون.

فهذه خصلة ذميمة تدل علىٰ النفرة من الغاية التي خُلِقُوا لها.

ولذا؛ الواجب علىٰ المسلمين أن يعتنوا بالعقيدة: فهمًا وعملًا، وَتَعَلُّمًا وتعليمًا.

وهذه الدروس جاءت لتحقيق هذا المطلب، فأسأل الله أن ينفع بها المسلمين[1].

---

(١) أصل هذه الدروس مشاهد مرئية، وقد قام أحد الإخوة بتفريغها؛ ليعم نفعها، فأسأل الله أن يجزيه خير الجزاء، وأن يبارك في هذه الدروس.
ولا يخفىٰ أن ما يلقىٰ، ليس كالذي يُكتب ويُحرَّر.

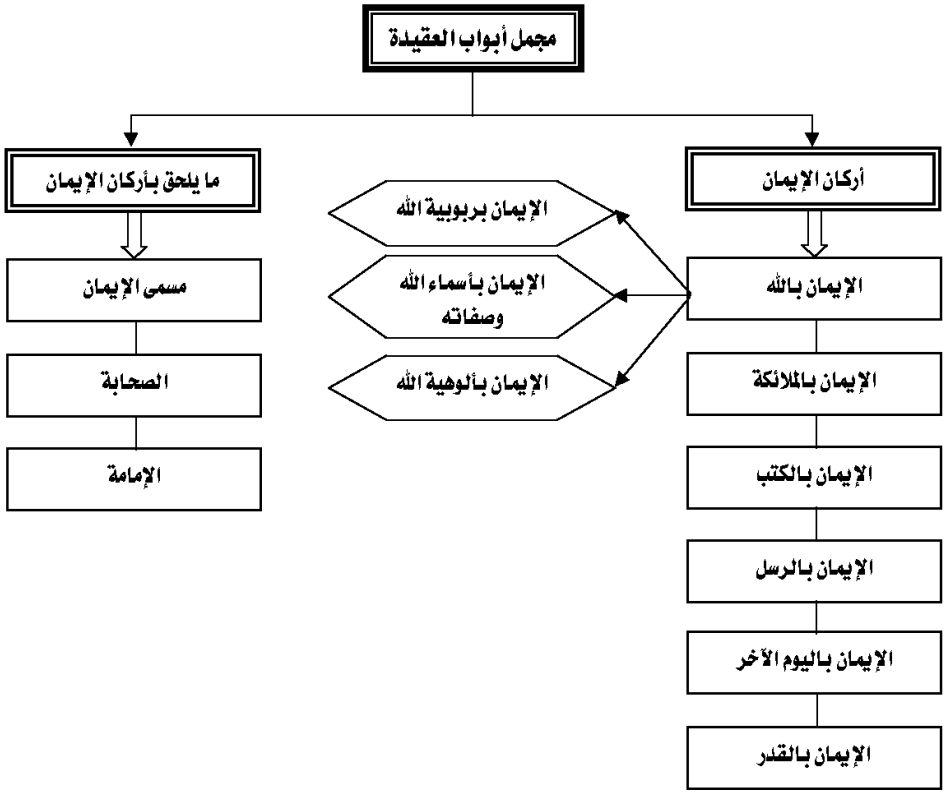

العقيدة: ما يعقد عليه الإنسان قلبه.

*** وهذه العقيدة يدخل تحتها بابان:**

- **الباب الأول:** أركان الإيمان الستة.

- **الباب الثاني:** ما يُلحق بأركان الإيمان الستة.

الباب الأول، وهو: أركان الإيمان الستة؛ قد جاء في حديث جبريل، لَمَّا سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: «**الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره**» [أخرجه مسلم].

فأركان الإيمان ستة:

١- الإيمان بالله.

٢- الإيمان بالملائكة.

٣- الإيمان بالكتب.

٤- الإيمان بالرسل.

٥- الإيمان باليوم الآخر.

٦- الإيمان بالقدر خيره وشره.

- ويدخل في الإيمان بالله ثلاثةُ أمور:

الأمر الأول: الإيمان بربوبية الله-جل وعلا-.

الأمر الثاني: الإيمان بأسماء الله وصفاته.

الأمر الثالث: الإيمان بألوهيته-جل وعلا-.

الباب الثاني: ما يُلحق بأركان الإيمان، ويدخل تحته:

١- مُسمىٰ الإيمان.

٢- الصحابة.

٣- الإمامة.

فهذا تصورٌ عام لباب الاعتقاد، وما يدخل تحته من مسائل.

وهذه المسائل العقدية لها أثرٌ علىٰ سلوك العبد، فالعبد إذا اعتقد اعتقادًا صحيحًا، وتيقن ذلك تيقنًا كاملًا، فإنه يُثمر محبة الله -جلَّ وعلا- ورجاءه وخوفه؛ فتستقيم حياته، ويسعد في دنياه وأخراه.

فمثلًا: إذا علم العبد ما لله -جل وعلا- من أسماء وصفات، وأنه رحيم، يقرب من عبده إذا قرُب العبد إليه، وأنه -جل وعلا- ينزل إلىٰ السماء الدنيا فيقول -جل وعلا-: «**من يدعوني فأستجيب له، من يستغفرني فأغفر له، من يسألني فأعطيه**». [أخرجه البخاري ومسلم].

فهذا لا شك أنه يثمر محبة الله -جل وعلا-، وإذا أحب العبدُ رَبَّه سارع إلىٰ امتثال أوامره، فلا يراه الله -جل وعلا- في مكانٍ لا يُحب أن يراه فيه، كما أن العبد لن يتلفظ بكلمةٍ تُغضب الله؛ لأنه يعلم أن الله -جل وعلا- يسمعه.

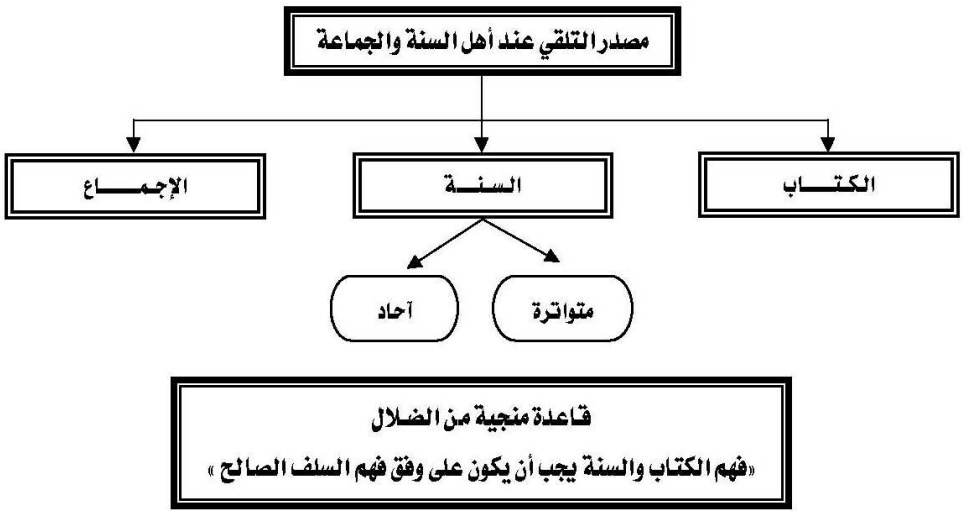

نعني بمصدر التلقي: من أين تُتلقىٰ العقيدة؟

ومصدر التلقي عند أهل السُّنة والجماعة يرجع إلىٰ ثلاثة أمور:

أولًا: الكتاب، ونعني بالكتاب: القرآن، فالقُرْآن تكلم الله -جل وعلا- به حقيقةً.

ثانيًا: السنة، ونعني بها: سنة رسول الله ﷺ، سواءٌ كانت قوليةً، أو فعلية، أو تقريريةً، أو تركيةً.

والسنة يحتج بها في العقيدة سواءٌ كانت متواترة، أو كانت من باب الآحاد، فأهل السنة والجماعة لا يفرقون بين المتواتر والآحاد في الاحتجاج بهما في العقيدة، فكما يحتجون بالمتواتر يحتجون أَيضًا بالآحاد.

ثالثًا: الإجماع، وهو: اتفاق مُجتهدي الأمة علىٰ أمر شرعي بعد وفاة رسول الله ﷺ.

وهنا يأتي سؤال، وهو: لماذا لا نحتج علىٰ العقيدة بالعقل؟

وجواب هذا السؤال: أن باب الاعتقاد أمرٌ غيبي لا نُشاهده، وإذا كان أمرًا غيبيًّا فلا يُمكن أن نحتج عليه بالعقل؛ وإنما نحتج عليه بالخبر فقط.

والخبر هو ما كان عن الله، أو عن رسول الله ﷺ.

وأما الإجماع فهو يرجع إلىٰ الكتاب والسُّنة؛ لأن الإجماع لابد أن يكون مُستندًا علىٰ دليلٍ من الكتاب والسُّنة.

هذه هي مصادر التلقي عند أهل السُّنة والجماعة.

وهناك قاعدةٌ مهمةٌ منجيةٌ من الضلال: من لم يأخذ بهذه القاعدة وقع في الضلال لا محالة، ولم يكن من أهل الفرقةِ الناجية، ولا من الطائفة المنصورة، وهي: «**فهم الكتاب والسنة يجب أن يكون علىٰ وفق فهم السلف الصالح**».

فإذا أردنا أن نفهم نصًّا من كتاب الله، أو من سنة رسول الله ﷺ، فلابد أن يكون فهمنا موافقًا لفهم السلف الصالح؛ لأن النبي ﷺ لما ذكر حديث الافتراق قال: «**وستفترق أمتي علىٰ ثلاثٍ وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: **من كان علىٰ مثل ما أنا عليه وأصحابي**». [أخرجه الترمذي في «جامعه»، والحاكم في «المستدرك»، وصححه ابن تيمية، وحسنه الألباني]

فجعل علامة الفرقة الناجية متابعة الصحابة؛ لأن أصحاب رسول الله ﷺ شاهدوا التنزيل، وعرفوا الوقائع، وشهد الله لهم بخيرية قلوبهم، واختارهم -جل وعلا- لصحبة نبيه ﷺ، وجعلهم وزراءه، فهم أحق الناس بفهم الكتاب والسُّنة.

فالصحابة لا يُمكن أن يخرج الحق عن فهمهم، وبالتالي إذا أردنا أن نكون علىٰ الحق فلابد أن نسير علىٰ فهمهم؛ لأن الله -جل وعلا- يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

فالله ﷻ قد رضي عن الصحابة مطلقًا، ورضي عمَّن بعد الصحابة بشرطٍ، وهو اتِّباع الصحابة بإحسان، وهذه شهادةٌ من الله للصحابة، فمن أراد أن يكون ممن رضي الله عنه ويدخله جنته فليتبع أصحاب رسول الله ﷺ بإحسان.

ولهذا قلنا عن هذه القاعدة بأنها قاعدة منجية من الضلال.

والسَّلف الصالح، هم: الصحابة ومن اتبعهم بإحسان من القرنين اللذين بعد قرن الصحابة.

وبهذه القاعدة وضع أهل السنة لنا ميزانًا نزن به كل طائفة، وكل فرقةٍ، فإذا أردنا أن نعرف هذه الطائفة أو هذه الفرقة هل هي علىٰ عقيدة صحيحة أو لا؟ فنزنها بهذا الميزان.

فننظر إلىٰ أصول الفرقة أو الطائفة، فإذا رأينا أنهم يعتمدون علىٰ فهم السلف الصالح، علمنا أنها فرقةٌ ناجية، وأنهم هم أهل السنة والجماعة.

وإذا حادوا عن هذه القاعدة علمنا أنها فرقة ضالة.

فهذا هو الميزان، وهذا الميزان إنما وضعه الله -جل وعلا- ورسوله ﷺ.

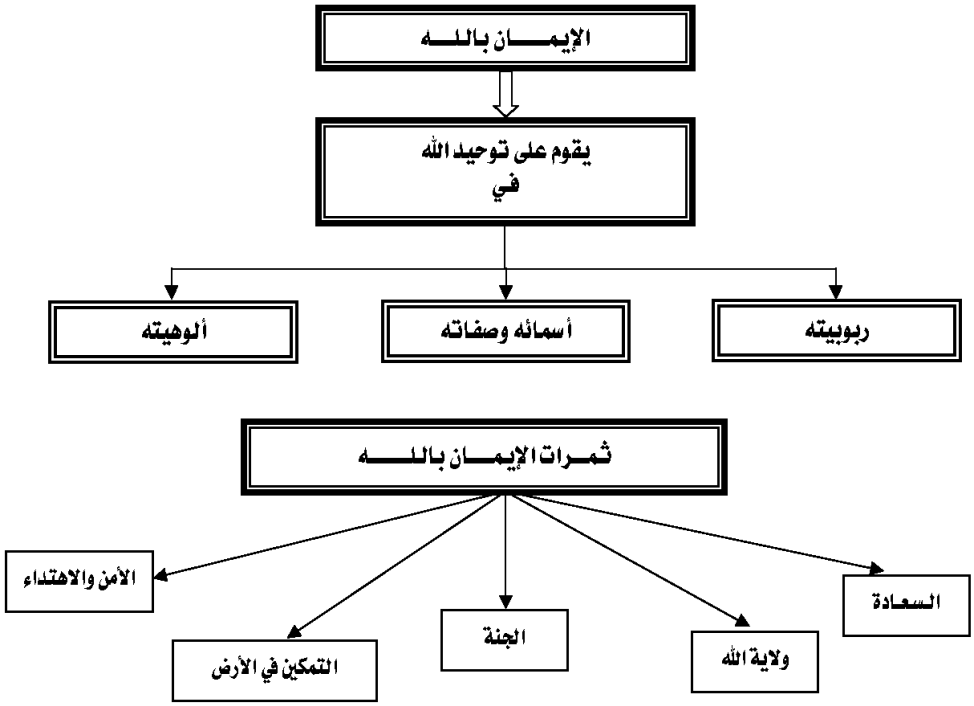

الإيمان بالله يقوم علىٰ توحيد الله -جل وعلا-، فلا يصح إيمانٌ إلا بتوحيد، فمتىٰ ما تخلف التوحيد تخلف الإيمان بالله -جل وعلا-.

*** وتوحيد الله -جل وعلا- يكون في أمور:**

- **الأمر الأول:** توحيد الله -جل وعلا- في ربوبيته.
- **الأمر الثاني:** توحيد الله -جل وعلا- في أسمائه وصفاته.
- **الأمر الثالث:** توحيد الله -جل وعلا- في ألوهيته.

*** أولًا: توحيد الله في ربوبيته**، بمعنىٰ: إفراد الله بأفعاله سبحانه.

- **مثاله:** اعتقاد أن الخالق هو الله وحده، وأن الرازق هو الله وحده، وأن المحيي هو الله وحده، فنُفرد الله -جل وعلا- بأفعاله.

* **ثانيًا: توحيد الله في أسمائه وصفاته،** بمعنىٰ: إفراد الله بأسمائه وصفاته.

- **مثاله:** السميعُ هو الله، فهو اسمٌ من أسماء الله -جل وعلا- مختصٌّ به إذا أضيف إليه، وصفته السمع، فهذه الأسماء والصفات إذا أضيفت إلىٰ الله -جل وعلا- وجب إفراده بها.

فالسمع الكامل لا يكون إلا لله، والبصر الكامل لا يكون إلا لله، والقُدرة التامة لا تكون إلا لله، وهكذا.

* **ثالثًا: توحيد الله في ألوهيته،** بمعنىٰ: إفراد الله بالعبادة.

- **مثاله:** إفراد الله بالدعاء والسجود والذبح، فلا يُدعَىٰ إلا الله، ولا يذبح إلا لله -جل وعلا- ولا يسجد إلا لله.

* **ثمرات الإيمان بالله:**

للإيمان بالله ثمراتٌ عديدة جاءت في نصوص الكتاب والسنة، أذكر منها علىٰ سبيل التمثيل لا الحصر خمسة أمور:

- **الأمر الأول:** الإيمان بالله -جل وعلا- يُثمر السعادة في الدنيا والآخرة.

فكل من يبحث عن السعادة فإنه لا سبيل له إليها إلا بالإيمان بالله -جل وعلا-.

مصداق هذا في قوله -جل وعلا-: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧].

فالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة تحصل بالإيمان بالله والعمل الصالح.

- **الأمر الثاني**: ولاية الله -جل وعلا- ونصره، فمن أراد أن ينصره الله فعليه بتحقيق الإيمان بالله -جل وعلا-، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:٦٨]؛ أي: ناصرُ المُؤمِنِينَ.

- **الأمر الثالث**: دخول الجنة والتنعم بنعيمها، فليس هناك نعيم في الجنة أعظم من رؤية الله -جل وعلا-؛ ودخول الجنة يكون بتحقيق الإيمان بالله -جل وعلا-؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ [النساء:٥٧].

- **الأمر الرابع**: التمكين في الأرض والاستخلاف فيها، قال -جل وعلا-: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور:٥٥].

فمن أراد التمكين والاستخلاف في الأرض فعليه بتحقيق الإيمان بالله -جل وعلا-.

- **الأمر الخامس:** الأمن التام، والاهتداء التام، قال -جل وعلا-: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

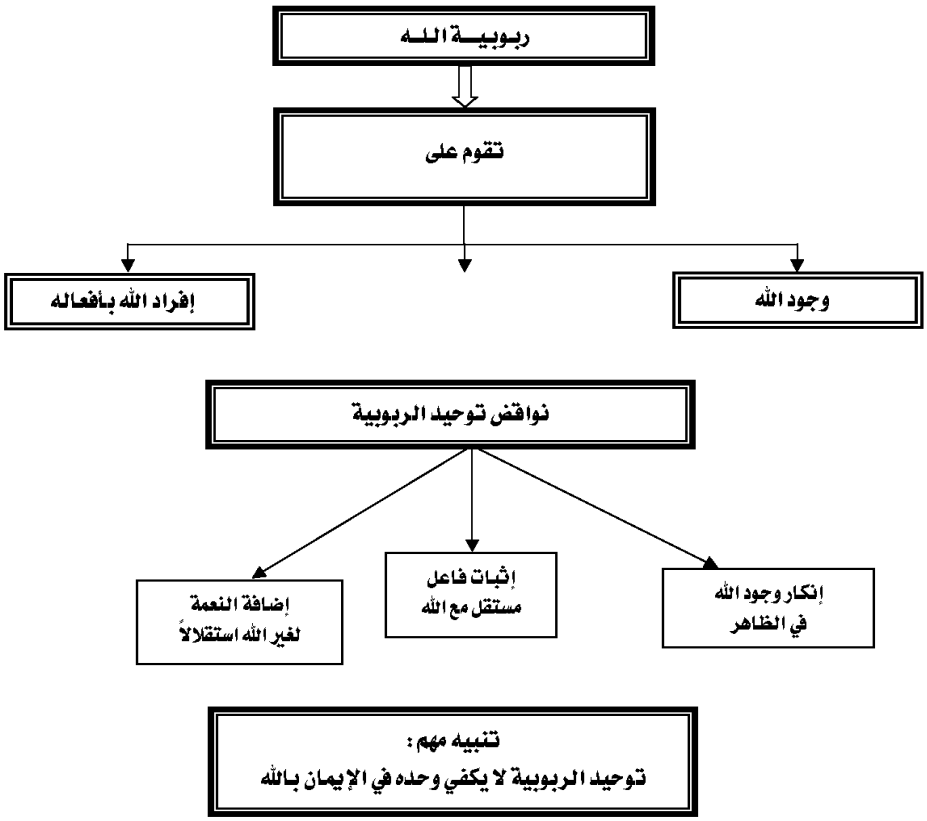

* ربوبية الله -جل وعلا- تقوم علىٰ أمرين:

- **الأمر الأول:** وجود الله ﷻ .

- **الأمر الثاني:** إفراد الله -جل وعلا- بأفعاله، أو إفراده بالخلق والملك والتدبير.

أما وجود الله فهو أمرٌ فطريٌّ؛ بمعنىٰ: أن الله خلق الخلق وهم مفطورون علىٰ معرفته -جل وعلا-، كما قال ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يُهَوِّدَانِهِ، أو يُنَصِّرانِهِ، أو يُمَجِّسَانِهِ**» [أخرجه البخاري ومسلم].

فالمولود حينما يُولد، يُولد علىٰ إثبات وجود الله-جل وعلا-.

ووجود الله مع كونه فطريًّا قد دلَّ عليه الشرع والعقل والحس.

- **أما الشرع؛** فقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]، فأثبت أن هناك ربًّا للعالمين.

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر:٦٢]، فأثبت أنه خالق، فالله خالق وما سواه مخلوق.

- **وأما العقل؛** فالإنسان إذا نظر إلىٰ المخلوقات وجد أنها حدثت بعد أن لم تكن؛ كالإنسان مثلًا لم يكن موجودًا ثم وُجِدَ.

وحدوثه لابد له من مُحدِث، فالعقل يقطع أن كل مُحدَثٍ لابد له من مُحدِث، وكل مخلوقٍ لابد له من خالق.

والذي عيَّن هذا المحدِث، وأنه الله هو: الشرع، وكذلك الفطرة.

- **وأما الحس؛** فإذا نظرنا إلىٰ الإتقان الموجود في المخلوقات، وأنها تسير علىٰ نظام لا يتغير، فالسمواتُ لا تسقط علىٰ الأرض، والأرض فيها جبالٌ تُثبتها، وحولها بحار، فهذا كله يدل علىٰ وجود الصانع.

بل حتىٰ الحيوانات تُقر بوجود الله-جل وعلا-.

وهذه الجمادات تُسبح بحمد الله-جل وعلا-، كما قال تعالىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤].

أما الأمر الثاني، وهو: إفراد الله-جل وعلا- بأفعاله، بمعنىٰ: نُفرده -جل وعلا- بخلقه، فلا خالق إلا الله، ونُفرده بالمُلك، فليس هناك مالكٌ علىٰ الحقيقة إلا الله -جل وعلا-، ونُفرده أَيْضًا بالتدبير، فالذي يُدبر المخلوقات هو الله -جل وعلا- وحده.

إذن ربوبية الله -جل وعلا- تقوم علىٰ: وجود الله، وعلىٰ إفراد الله بأفعاله.

ننتقل إلىٰ مسألةٍ مهمة وهي: أن توحيد الربوبية لا يكفي وحده في الإيمان بالله ﷻ؛ بمعنىٰ: أن من أتىٰ به ولم يأتِ بتوحيد الألوهية فإنه لا يكون مؤمنًا بالله -جل وعلا-؛ بدليل أن مشركي العرب كانوا مُقِرِّين بتوحيد الربوبية، كما قال الله مُخاطبًا نبيه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾؛ أي: سألت المُشركين: ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت:٦١]، ولهذا هم يعبدون الله ويعبدون غيره، فهم يُقرون بربوبية الله، وبأنه-جل وعلا- هو الخالق، وأنه هو المالك، وأنه هو الرازق، ومع ذلك قاتلهم النبي ﷺ، واستحَلَّ دماءهم؛ وذلك لأن هذا التوحيد وحده لا يكفي.

فيجب أن ننتبه لهذا القضية المُهمة؛ وهي: أن توحيد الربوبية أصله أَقَرَّ به مشركو العرب، فلا يكفي وحده في الإيمان بالله -جل وعلا-.

*** نواقض توحيد الربوبية:**

بمعنىٰ: ما هو الأمر الذي إذا أتىٰ به العبد لم يكن موحدًا لله -جل وعلا- ويكون قد بطل به توحيده لله في ربوبيته؟

هذه النواقض، هي:

أولًا: إنكار وجود الله -جل وعلا- في الظاهر.

ثانيًا: إثبات فاعلٍ مستقلٍّ مع الله -جل وعلا-.

ثالثًا: إضافة النعمة إلىٰ غير الله -جل وعلا- علىٰ وجه الاستقلال.

*** الناقض الأول: إنكار وجود الله في الظاهر:**

أن ينكر أن الله موجود، كما حصل من فرعون لمَّا قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، وهو إنكار في الظاهر؛ لأن فرعون لا يُنكر وجود الله بقلبه؛ بدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل:١٤].

وسبب جحوده وجود الله هو: ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤].

وكما حصل أيضا من: الملاحدة الذين يُنكرون وجود الله في الظاهر؛ لكن في حقيقة أمرهم يُثبتون وجود الله -جل وعلا-.

فَتَرِد عليهم شُبهات تُغلف قلوبهم حتىٰ يخيل للواحد منهم أنه ليس هناك ربٌّ للعالم؛ وإنما وجد صدفة.

وكلما قويت هذه الشبهات واستحكمت علىٰ قلوبهم أظهروا إنكار الله ﷻ.

وكلما خفت صاروا يتذبذبون ويتشككون، وأحيانًا تستيقظ الفطرة التي في قلوبهم فيثبتون وجود الله -جل وعلا-، وإن لم يُصرحوا به.

*** الناقض الثاني: إثباتُ فاعلٍ مستقلٍّ مع الله:**

أن يُثبت العبد أن هناك خالقًا مع الله، أو أن هناك مالكًا مع الله، أو أن هناك مُدبرًا مع الله يدبر تدبيرًا مستقلًّا، وأنه ليس داخلًا تحت تدبير الله، وليس داخلًا تحت ملك الله.

فمن أثبت فاعلًا مستقلًّا مع الله يكون قد نقض توحيده.

فمثلًا: لو أن إنسانًا أثبت أن النجوم تؤثر بنفسها في الأرض، فإنه يكون بذلك قد نقض توحيده لله في الربوبية.

كذلك من اعتقد في الأبراج أنها تؤثر بذاتها دون الله ﷻ، فينظر في الأبراج؛ ليستدل بها علىٰ حاله ومستقبله، مع اعتقاد أنها تؤثر بذاتها من دون الله ﷻ فهذا نقضٌ لتوحيد الربوبية.

ومن الأمثلة أيضًا: إثبات أن هناك أشياء تؤثر تأثيرًا مُستقلًّا علىٰ الإنسان، فيظن بعض الناس أن هذا المرض يؤثر بذاته، فتنتقل العدوىٰ بذاتها، وهذا نقضٌ لتوحيد الربوبية.

كذلك لو أن إنسانًا خرج من بيته فرأىٰ ما يكره فتشاءم منه؛ لظنه أنه يؤثر بذاته استقلالًا من دون الله فيكون بذلك قد ناقض توحيد الربوبية.

*** الناقض الثالث: إضافة النعمة إلىٰ غير الله علىٰ وجه الاستقلال:**

كمن يقول: لولا فلان الولي لمرضت، فيظن أن الولي يستقل بالتأثير فيُضيف النعمة إليه، وهذا ناقضٌ من نواقض توحيد الربوبية.

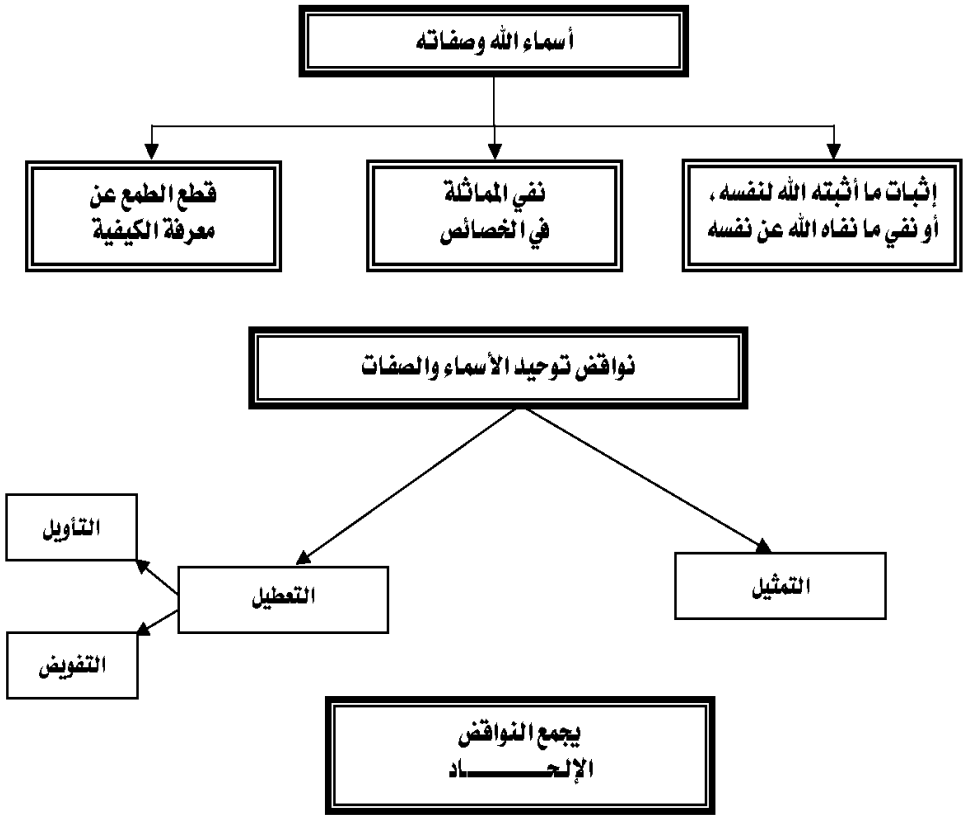

أسماء الله وصفاته تقوم علىٰ ثلاثةِ أُسس:

الأساس الأول: إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسولهﷺ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسولهﷺ، وقاعدة أهل السنة لا يتجاوز القرآن والسنة في الإثبات والنفي.

الأساس الثاني: نفي المُماثلة في خصائص صفات الله.

الأساس الثالث: قطع الطمع عن معرفة كيفية أسماء الله وصفاته.

* **أما الأساس الأول: وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، فمعناه:** كل اسمٍ أو صفةٍ أثبتها الله -جل وعلا- لنفسه، أو أثبتها له رسولهﷺ -الذي لا ينطق عن الهوىٰ-؛ فالواجب علىٰ العبد أن يُثبتها.

وكذلك كل ما نفاه الله عن نفسه؛ فالواجب علىٰ العبد أن ينفيه.

فنُسلم لخبر الله -جل وعلا- وخبر رسولهﷺ؛ لأن المُثبت للصفة هو الله، وهو أعلم بنفسه من غيره، فلو لم تكن هذه صفة له لَمَا أثبتها لنفسه.

فقاعدة أهل السُّنة والجماعة في الإثبات والنفي: لا يُتجاوز القُرآن والسُّنة.

فلا نُثبت الاسم أو الصفة إلا بالقُرآنِ أو السنة، ولا ننفي إلا بالقُرآنِ أو السنة، أما العقل فلا سبيل له في الغيبيات.

مثال الإثبات: قوله -جل وعلا- في الأسماء: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فأثبت الحي، والقيوم.

وقوله -جل وعلا- في الصفات: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾ [الأنعام:١٣٣]، فأثبت لنفسه الرحمة.

ومثال النفي: قوله -جل وعلا-: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فنفىٰ عن نفسه السِّنة -وهي النُّعاس- والنوم.

* **وأما الأساس الثاني: وهو نفي المُماثلة في الخصائص، فمعناه:** أنَّ ما أثبته الله لنفسه فالواجب علىٰ العبد أن يثبته مع نفي المماثلة.

فيقول مثلًا: حياة الله -جل وعلا- ليست كحياة المخلوقين، ورحمة الله -جل وعلا- ليست كرحمة المخلوقين، واستواء الله -جل وعلا- ليس كاستواء المخلوقين؛ لأن الله -جل وعلا- أضاف الصفة إلىٰ نفسه فاختصت به، فلم يُشاركه فيها أحد؛ ولقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١].

والله -جل وعلا- هو الذي أثبت لنفسه الصفات، وهو الذي قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾، ولا تعارض بينهما؛ فنُثبت الصفات من غير مماثلة، وهذا ما وَفَّقَ الله إليه أهل السُّنة والجماعة.

*** وأما الأساس الثالث: وهو قطع الطمع عن معرفة كيفية صفات الله، فمعناه:** قطع الطمع عن معرفة كيفية صفات الله -جل وعلا-؛ لأن الله غيب، ولم يُخبرنا عن كيفية صفاته.

فمثلًا: استواء الله -جل وعلا-له كيفية، لكن علمنا بكيفية استوائه مجهول؛ لأن الله لم يُخبرنا عنها، وهو غيب لم نره، وليس له نظير، فانتفت جميع الطُّرق في معرفة كيفية صفات الله.

هذه هي الأسس الثلاثة التي يقوم عليها توحيد الأسماء والصفات، فمن اختل عنده إحدىٰ هذه الأسس انتقض توحيده لله في أسمائه وصفاته.

*** نواقض توحيد الأسماء والصفات:**

النواقض ترجع إلىٰ أمرين:

- **الأول:** التمثيل.

- **الثاني:** التعطيل.

الناقض الأول: التمثيل: وهو إثبات الصفة لله مع إثبات المماثلة، فيقول: وجه الله كوجه المخلوق، واستواء الله كاستواء المخلوق.

وإثبات المُماثلة بين اللهِ وخلقه كفرٌ؛ لأن المخلوق ناقص، وإثبات المماثلة بين الكامل والناقص يجعل الكامل ناقصًا، وإثبات النقص للهِ كفرٌ؛ لأن الله -جل وعلا- يقول: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل:٧٤]، ويقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ:١١].

وكل فرقةٍ خالفت أهل السنةِ في باب الأسماء والصفات وقعت في التمثيل.

الناقض الثاني: التعطيل: وهو إنكار أسماء الله -جل وعلا- وصفاته، أو إنكارُ بعضها، فيقول: الله لا يستوي علىٰ عرشه، وليس لله وجهٌ يليق به، وهكذا.

ويُقال لهذا المُعَطِّل: الله يُثبت وأنت تنفي! أأنت أعلم أم الله؟

والمعطل قد شابه المشركين، كما قال الله عنهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد:٣٠]؛ أي: لا يثبتون اسم الرحمن.

والتعطيل يندرج تحته: التأويل، والتفويض.

والمراد بالتأويل: نفي ظاهر النص وإثبات معنًى جديد له.

مثاله: أن يأتي لقول الله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، فينفي ظاهر النص فيقول: ليس استواء الله علىٰ عرشه بمعنىٰ عَلَا، وإنما معناه: استولىٰ، فيثبت معنىٰ جديدًا مخالفًا للمعنىٰ الذي دلَّ عليه ظاهر النص.

والواجب هو أن نفهم صفات الله -جل وعلا- علىٰ ظاهرها بحسب مقتضىٰ لغة العرب، هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، فنقول: الاستواء هنا بمعنىٰ: عَلَا؛ لأن الاستواء في لغة العرب بمعنىٰ العلو، وهو استواء يليق بجلاله.

والمراد بالتفويض: هو نفي ظاهر النص مع إثبات معنًىٰ جديد، فيقول مثلًا: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، ليس الاستواء معناه العلو، لكن لا أدري ما معناه، الله أعلم بمراده.

والتفويض ليس مذهبًا لأهل السنة، وإنما مذهب أهل السنة أنهم يُثبتون ظاهر النصِ، ولا يفوضون المعنىٰ، وإنما يفوضون الكيفية؛ لقطع الطمع عن معرفتها.

وكلٌّ من التأويل والتفويض: تعطيلٌ، والتعطيل ناقض من نواقض توحيد الأسماء والصفات.

هذه النواقض يجمعها: الإلحاد.

وقد قال الله-جل وعلا-: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا

كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٠]، فأمر باجتناب الملحدين، وهو مُتضمنٌ لتحريم الإلحاد نفسه.

والإلحاد: هو العدول عما يجب لله في أسمائه وصفاته.

فمثلًا:

١- يجب علىٰ العبد أن يثبت ما أثبته الله لنفسه، فيأتي المُلحد وينفي، فيكون قد عدل عن الواجب في أسماء الله وصفاته من الإثبات.

٢- يجب علىٰ العبد أن يثبت من غير مماثلة، فيأتي الممثل ويُثبت مع المماثلة فيُلحد.

٣- يجب علىٰ العبد أن يقطع الطمع عن معرفة الكيفية، فيأتي الممثل فيُثبت مع الكيفية، فيكون قد ألحد.

كل ما ذكرناه تجمعه جملة واحدة وهي: إثباتٌ بلا تمثيل، وتنزيهٌ بلا تعطيل.

فإذا أثبتَّ فلابد أن تنفي المُماثلة، وإذا نزهت فنفيت ما نفاه الله عن نفسه فلابد أن تنفي التعطيل.

ومما ينبغي أن يعلم: أن أسماء الله كلها حسنىٰ؛ بمعنىٰ: أنه ليس هناك أسماء أحسن من أسماء الله، لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنىٰ.

وصفاته -جل وعلا- كلها صفات كمال لا يعتريها نقصٌ بوجهٍ من الوجوه، فالله كامل ولا يُضيف لنفسه إلا ما كان كاملًا.

سواءٌ كانت هذه الصفات: صفات ذاتية -وهي: التي لا تنفك عن الذات، كالحياة-، أو صفات فعلية -وهي: الصفات المتعلقة بالمشيئة، ككونه يخلق متىٰ شاء، ويتكلم متىٰ شاء -جل وعلا-، ويرزق متىٰ شاء.

وفي الختام أشير إلىٰ قضية مهمة، وهي: موقف أصحاب رسول الله ﷺ من صفات الله.

أصحاب رسول الله ﷺ أخذوا العلم عن رسول الله ﷺ، وتخرجوا في مدرسته، وكان النبي ﷺ يُخبرهم بالصفات، كما أنه يتلو عليهم القُرآن وفيه صفات الله، فلا تكاد تخلو آية من كتاب الله إلا وهي مبتدئةٌ بالصفات، أو مُختتمةٌ بالصفات.

فكان الصَّحَابَة يسمعون هذه الآيات لكن ما موقفهم من هذه النصوص؟

والجواب: موقفهم يُمثِّله حديث أبي رزين: «**ضحك ربنا من قنوط عباده وَقُربِ غِيَرِهِ**. قال: قلت: يا رسول الله؛ أوَيَضحك ربنا؟ قال: **نعم**. قلت: لن نَعْدَمَ من ربٍّ يضحكُ خيرًا» . [أخرجه ابن ماجه في «سننه»، وصححه الألباني في «السلسة الصحيحة»].

فهذا الصحابي الجليل لَمَّا سمع قول النبي ﷺ في إثبات الضحك لله ﷻ كما يليق به، لم يقل كما قال من تلوث فكره بقذر التشبيه ونجس التعطيل: كيف يضحك؟ كما أنه لم يستدرك علىٰ النبي ﷺ فيقول: «هذا فيه تشبيه الله بالمخلوق»، كما قاله أولئك.

قد يقول قائل: لماذا؟

والجواب: لأنه متقرر عنده من تعليم النبيﷺ له وللصحابة: أن الله لا يماثله أحد من خلقه، فالصفة التي أضافها الله لنفسه، أو أضافها له رسولهﷺ تثبت لله من غير تمثيل، فلا أحد أعلم بالله من الله، ولا أحد أعلم بالله بعد الله من رسول اللهﷺ.

لمَّا عرف هذا الصحابيُّ الجليل أن الله متصف بهذه الصفة، وأن الله إنما عرَّفنا صفاته حتىٰ نعبده بمقتضاها، قال: «لن نَعْدَمَ من ربٍّ يضحكُ خيرًا».

وهذا الذي يجب علىٰ كل مسلم.

يجب عليه: أن يثبت الصفة التي أثبتها الله لنفسه، أو أثبتها له رسولهﷺ من غير كيف، ولا مثل.

ثم ينظر بعد ذلك ما هو المقتضىٰ من هذه الصفة حتىٰ يحقق العبودية لله -جل وعلا- به، فيحب الله، ويرجوه، ويخاف منه، فتحصل له لذةٌ عظيمةٌ لا تُدانيها لذة.

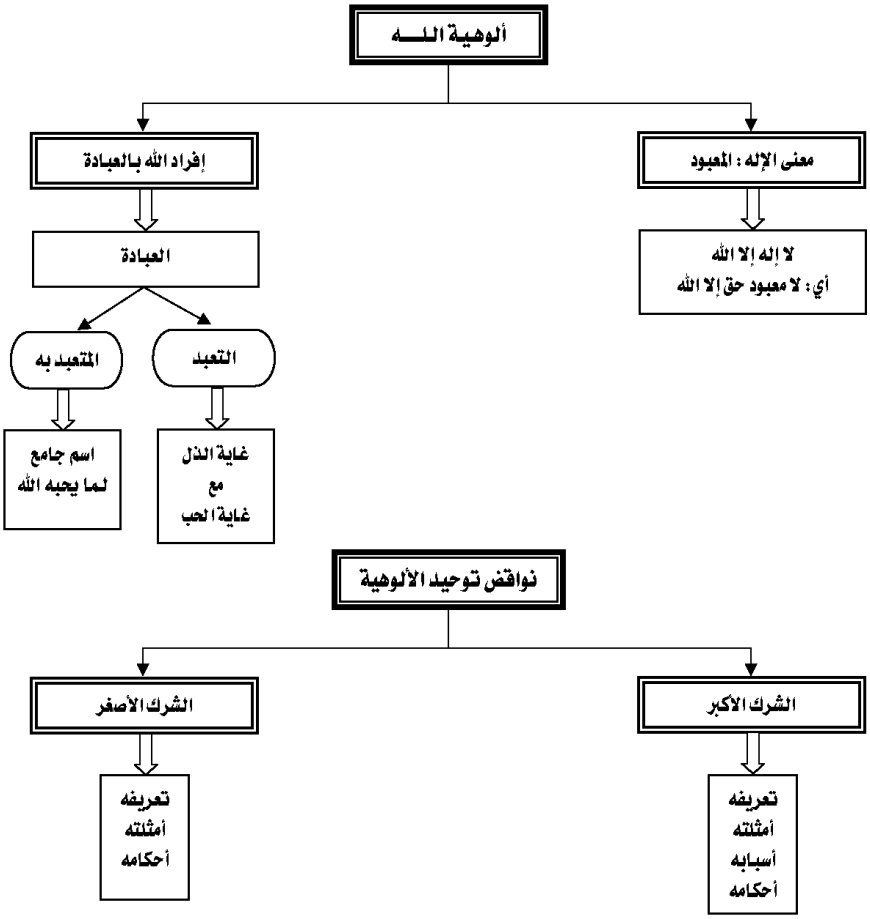

توحيد الله -جل وعلا- في ألوهيته: هو الذي حصلت فيه الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم، فالنبيﷺ إنما قاتل مشركي العرب؛ لإخلالهم بتوحيد الألوهية.

فلما قال لهم النبيﷺ: «**قولوا: لا إله إلا الله تُفلحوا**، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥].

وقال الله عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات:٣٥].

وهذا التوحيد من أجله بعث الله الرُّسل، وأنزل الكتب؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ

﴿بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وهو أول واجبٍ علىٰ العبد؛ قال تعالىٰ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فأمر الله -جل وعلا- بالعلم به.

ولما أرسل النبي ﷺ مُعاذًا إلىٰ أهل اليمن قال: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله**». [أخرجه مسلم].

هذه المُقدمة تدل علىٰ أهمية معرفة توحيد ألوهية الله -جل وعلا-.

*** ومعرفة ألوهية الله تقوم عل أمرين:**

الأول: معرفة معنىٰ الإله.

الثاني: إفراد الله -جل وعلا- بالعبادة.

- **الأمر الأول: الإله: معناه في لغة العرب:** المعبود، مِن أَلِهَ يَألهُ إِلَهَةً؛ بمعنىٰ: المعبود.

فألوهية الله -جل وعلا- بمعنىٰ: أن الله -جل وعلا- هو المستحق لأن يُعبد.

وقد دلَّ علىٰ هذا اللغة والشرع.

وإذا كان الإله بمعنىٰ المعبود، كان معنىٰ قول القائل: «لا إله إلا الله»: لا معبودَ حقٌّ إلا الله، فليس هناك معبودٌ حق إلا الله، كما قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج:٦٢]، وقال -جل وعلا-: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران:٦٢]؛ بمعنىٰ: وما من إلهٍ يستحق أن يُعبد إلا الله،

فكل المعبودات من دون الله ﷻ باطلة.

هذه الكلمة «لا إله إلا الله» بها يدخل العبد إلىٰ الإسلام، فمن لم يأتِ بها يكون كافرًا.

وقد اشتملت علىٰ نفي: «لا إله»، وإثبات: «إلا الله»، فدلَّ ذلك علىٰ أن التوحيد لا يقوم إلا علىٰ نفيٍ وإثبات.

فلا يقوم التوحيد علىٰ النفي وحده؛ لأننا إذا قلنا: لا إله؛ فمن نعبد؟ فالنفيُ عدم، والعدم لا يُعبد.

ولا يقوم علىٰ الإثبات وحده؛ لأننا لو قلنا: «إلا الله» فقط، فإن الإثبات لا يمنع المُشاركة، فيُعبد الله ويُعبد غيره.

فلابد في التوحيد حتىٰ يكون توحيدًا صحيحًا من نفيٍ وإثبات: نفي الألوهية عن غير الله -جل وعلا-، وإثباتها لله -جل وعلا- وحده، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء:٣٦].

إذن كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله»، مَن حققها يكون قد حقق توحيد الألوهية.

- الأمر الثاني في ألوهية الله: إفراد الله -جل وعلا- بالعبادة، فلا يُعبد أحدٌ إلا الله.

والعبادة التي يجب علينا أن نُفرِدَ الله -جل وعلا- بها:

إما أن ترجع إلىٰ العبد: وهو التعبد.

وإما أن ترجع إلىٰ المُتعبد به: وهي العبادة.

فالتعبد: فعل العبدِ؛ لأنه هو الذي يقوم بالعبادة، ولابد فيه من غاية الذُّل مع غاية الحُب.

فإذا انتفت غاية الذُّل فلا يكون متعبدًا، وإذا انتفت غاية المحبة فلا يكون متعبدًا، وإنما يكون متعبِّدًا إذا جاء بغاية الذل مع غاية الحب.

وأما المُتَعَبَّد به وهي العبادة، فمعناها: اسمٌ جامعٌ لكل ما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وطريق معرفة ما يُحبه الله ويرضاه: هو رسول الله ﷺ، فإذا أخبر النبي ﷺ أن هذا الفعل يُحبه الله، أو أمر به؛ كان عبادة.

*** ننتقل إلىٰ مسألة مهمة: وهي نواقض توحيد الألوهية:**

النواقض ترجع إلىٰ أمرين:

- **الأول:** الشرك الأكبر، وهو ناقض لأصل توحيد الألوهية.

- **الثاني:** الشرك الأصغر، وهو ناقض لكمال توحيد الألوهية الواجب.

- الناقض الأول: الشرك الأكبر:

تعريفه: جعلُ ندٍّ مع الله في العبادة.

وقد عرَّفه النبي ﷺ بذلك، ولا تعريف بعد تعريف رسول الله ﷺ.

فقد سُئل النبيﷺ -كما في الصحيح-: «أي الذنب أعظم؟ قال: **أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**» [أخرجه البخاري ومسلم].

فمن عبد غير الله فقد جعله ندًّا مع الله، فيكون قد وقع في الشرك الأكبر، وبالتالي يكون قد نقض توحيد الألوهية من أصله.

مثاله: لو أن إنسانًا دعا غير الله دعاء عبادة، أو دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله يكون قد وقع في الشرك الأكبر.

فالدعاء يُقَسِّمه أهل العلم إلىٰ قسمين:

١- دعاء عبادةٍ.

٢- دعاء مسألةٍ.

أما دعاء العبادة: كالصلاة والصوم، فهذا يسمونه دعاءً؛ لأن العبد يُصلي من أجل أن يدخل الجنة، فكأنه بصلاته دعا الله أن يُدخله الجنة.

هذا النوع -وهو دعاء العبادة- لا يجوز صرفه لغير الله مطلقًا، فلا يجوز لأحد أن يُصلي لغير الله، فمن صلىٰ لغير الله يكون قد وقع في الشرك الأكبر.

وأما دعاء المسألة؛ وهو أن تسأل وتطلب شيئًا، فهذا علىٰ قسمين:

الأول: إذا سأل غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، كأن يقول: يا ولي اشف مريضي، فشفاء المرض لا يقدر عليه إلا الله، فمن سأل غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله، يكون قد وقع في الشرك الأكبر.

الثاني: إذا سأل مخلوقًا ما يقدر عليه وهو حي يسمعه، كأن يقول: اسقني ماء؛ فهذا ليس شركًا أكبر؛ لأنه يقدر عليه.

ومما يدل علىٰ أن صرف الدعاء لغير الله شرك: قول الله -جل وعلا-: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦]، وقوله: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧].

فجعل الله -جل وعلا- من يدعو غيره ظالمًا كافرًا .

وقوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٥-٦]، فليس هناك أحدٌ أضل ممن يدعو غير الله ﷻ .

وعليه؛ فمن يذهب إلىٰ القبور ويدعو أصحابها، أو يستغيث بهم؛ يكون قد وقع في الشرك الأكبر، فينتقض عنده توحيد الألوهية من أصله.

وكذلك من الأمثلة: الاستغاثة بغير الله، كأن يقع الإنسان في كرب فيذهب إلىٰ أصحاب القبور؛ فيستغيث بهم، فيقول مثلًا: يا ولي أريد ولدًا، يا سيدي فُلان أريد مالًا، فهذا كله شركٌ أكبر.

وهناك شبهة يوردها بعضهم، فيقول: أنا ضعيف مُقصرٌ في حق الله ﷻ ، وهذا الولي له جاه عند الله، فأنا أدعوه من أجل أن يشفع لي عند الله.

فنقول له: هذه المقولة هي مقولة مشركي العرب، الذين كَفَّرهم النبي ﷺ وأحَلَّ دماءهم، قال تعالىٰ: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ ﴾ [يونس:١٨]، فمشركو العرب يعبدون غير الله؛ بمعنىٰ: يدعونهم من دون الله، ويستغيثون بهم، ويذبحون لهم، وحُجتهم في ذلك أنهم يقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾؛ بمعنىٰ: نحن مقصرون وهؤلاء لهم جاهٌ عند الله، فنريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله، فأجابهم الله ﷻ بقوله: ﴿قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [يونس:١٨]؛ بمعنىٰ: أَتُنَبِّئُونَه بما لا يكون في السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الأرضِ: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾، فسمَّىٰ فعلهم شركًا، فدلَّ ذلك علىٰ أن دعاء غير الله شركٌ.

وكذلك من الأمثلة علىٰ الشرك الأكبر: الذبح لغير الله؛ كأن يذهب الإنسان إلىٰ قبرٍ فيتقرب إلىٰ صاحب القبر بالذبح له، فيذبح له شاة ونحو ذلك، فهذا من الشرك الأكبر؛ لأن الذبح عبادة؛ لكون الله قد أمر به، قال تعالىٰ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾ [الكوثر:٢]، وصرف العبادة لغير الله شرك.

*** أسباب الشرك الأكبر:**

أولًا: الغلو في الصالحين: وهو مجاوزة الحد فيهم، كما حصل مع قوم نوح: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾ [نوح:٢٣]، فهذه كانت أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوح، فلما مات هؤلاء الصالحون نصبوا علىٰ قبورهم أصنامًا؛ من أجل إذا رأوهم نشطوا للعبادة، واستمروا علىٰ

هذا الأمر، فلما هلك هؤلاء وجاء من بعدهم، أوحىٰ الشيطان إليهم أن آباءكم لم ينصبوا هذه الأصنام إلا من أجل عبادتها، فعُبدت من دون الله.

فشركُ قوم نوح كان سببه الغلو في الصالحين، فأرسل اللهُ إليهم نوحًا من أجل أن يدعوهم إلىٰ «لا إله إلا الله»، فلا يعبدون إلا الله -جل وعلا-، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [نوح:١-٣].

ثانيًا: تعظيم قبور الصالحين؛ كأن يقيموا علىٰ قبور الصالحين أبنية، ويقيموا حولها السُّرج، فهذا التعظيم ذريعةٌ إلىٰ الوقوع في الشركِ الأكبر.

وقد لعن النبيﷺ اليهود والنصارىٰ؛ لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

*** أحكام الشرك الأكبر:**

أولًا: صاحبه مُخَلَّد في نار جهنم فلا يخرج منها أبدًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٦].

ثانيًا: صاحبه لا يدخل الجنة مُطلقًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].

ثالثًا: صاحبه لا يُغفر له، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

رابعًا: يُحبط جميع حسنات صاحبه إن مات عليه من غير توبة، قال الله -جل وعلا- مخاطبًا أنبياءه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨]، وقال مخاطبًا أعظم الخلق ﷺ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

ولهذا فإنِّي أحذِّر من الشرك الأكبر؛ لأن عواقبه وخيمة، ولا يمكن لأحد أن يحذر الشرك إلا بعد معرفته.

*** الناقض الثاني: الشرك الأصغر:**

تعريفه: ما سمَّاه الشارع شركًا أو ما في معناه، وكان وسيلةً للشرك الأكبر.

فلابد في الشرك الأصغر من أمرين:

- **الأول:** أن يسميه الشارع شركًا أو ما في معناه، كالكفر، أو جعله من التنديد الأصغر.

- **الثاني:** أن يكون وسيلةً للشرك الأكبر.

مثاله: الحلف بغير الله، كما قال ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» [أخرجه أبو داود]، فسماه الشارع شركًا، وهو وسيلة إلىٰ الشرك الأكبر بأن يُعظم المحلوف به كما يُعظم الله ﷻ.

والحلف بغير الله؛ كأن يقول: والكعبة، ورحمة أبي، ورأسك، ورأس أمي، إلىٰ غير ذلك من هذه العبارات.

وقد قال النبي ﷺ يقول: «**من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**» [أخرجه البخاري].

وكذلك من الأمثلة: اتخاذ ما ليس بسببٍ شرعي ولا قدري مع اعتقاد أنه سبب، كأن يُعلِّق الإنسان تميمة من أجل دفع العين، ويتعلق القلب بما علَّق.

فلو أن إنسانًا اتخذ تميمةً يكون قد وقع في الشرك الأصغر؛ لأنه جعلها سببًا وهي ليست بسبب.

*** أحكام الشرك الأصغر:**

أولًا: يُعذب صاحبه في النار ثم يخرج، فلا يُخلد في نار جهنم.

ثانيًا: لا يغفره الله، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨]، فالآية عامة تشمل الأكبر والأصغر.

ونكون بهذا قد انتهينا من الرُّكن الأول من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالله -جل وعلا-، فقد تكلمنا عن ربوبية الله، ثم عن أسمائه وصفاته، ثم عن ألوهيته.

ولسائل أن يسأل فيقول: ما هي العلاقة بين هذه الأقسام؟

والجواب: العلاقةُ بين توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات: أن توحيد الأسماء والصفات شاملٌ لتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؛ لأن من أسماء الله: الرب، والرب صفته الربوبية، ومن أسماء الله: الله، والله صفته الألوهية.

وأما توحيد الربوبية: فهو مستلزمٌ لتوحيد الألوهية؛ بمعنىٰ: أن من وحَّد الرب توحيدًا كاملًا، فإن ذلك يستوجب منه أن يعبدهُ.

وأما توحيد الألوهية: فهو متضمنٌ لتوحيد الربوبية، فكل من عبد الله لابد وأن يكون قد أقر بربوبيته.

هذه هي العلاقة بين أقسام التوحيد من جهة تعلقها بالله.

وهناك علاقةٌ أخرىٰ من جهة العبد: وهي التلازم، فيجب علىٰ العبد أن يأتي بتوحيد الربوبية وبتوحيد الألوهية، وبتوحيد الأسماء والصفات.

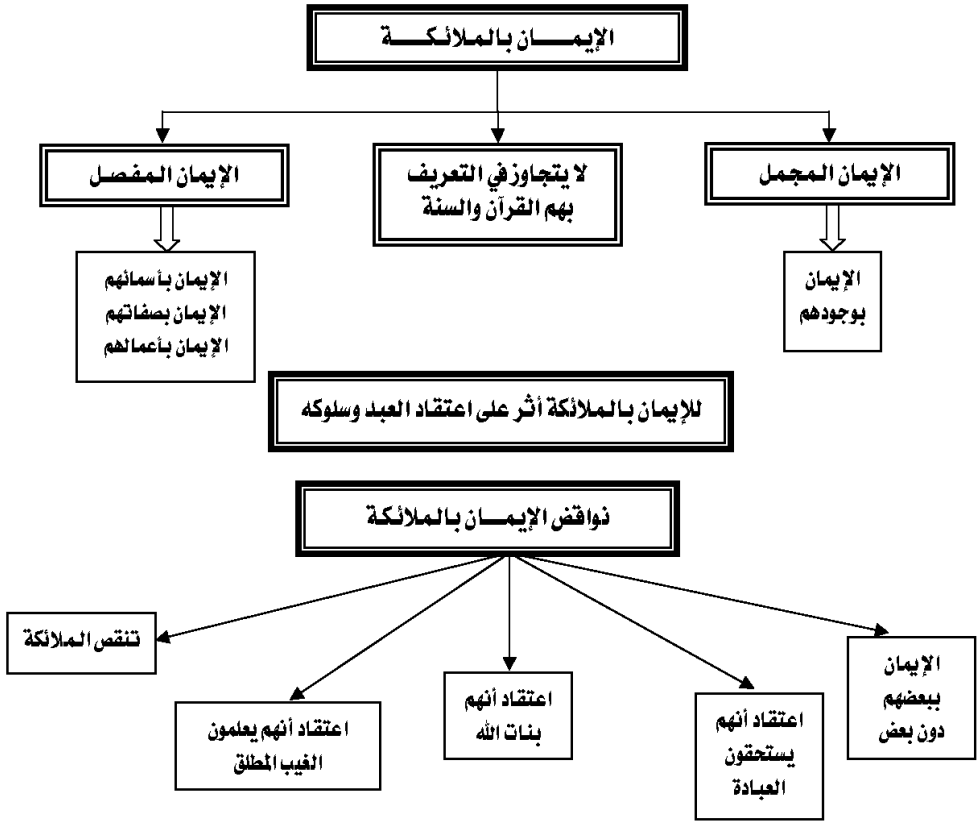

الإيمان بالملائكة: ركن من أركان الإيمان، لا يتم إيمان العبد إلا به، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦].

من هم الملائكة الذين يجب علينا أن نؤمن بهم؟

الملائكة: عالمٌ غيبي لم نشاهدهم، وليس لهم نظير، فلا يمكن لنا أن نعرف من هم إلا عن طريق الكتاب والسنة.

والملائكة كما في الكتاب والسنة:

* **روحانيون،** بمعنىٰ: أرواح، كما قال الله -جل وعلا- عن جبريل: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم:١٧]، فسمَّاه روحًا.

والروح ليس معنًىٰ، وإنما هو عينٌ قائمةٌ بذاتها، فالملائكة أرواح لهم صفات.

* خلقهم الله -جل وعلا- من نور، كما جاء في حديث عائشة في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**خُلقت الملائكة من نور**»[أخرجه مسلم]، والنور هنا: نورٌ مخلوق.

* لا يأكلون ولا يشربون، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ [هود:٦٩-٧٠].

* عظيمو الخلقة؛ بمعنىٰ: خلقتهم عظيمة، فالنبي ﷺ رأىٰ جبريل علىٰ صورته، وقد سد ما بين السموات والأرض، وقال أيضا ﷺ: «**أُذن لي أن أُحدث عن ملكٍ من ملائكة حملة العرش، ما بين شحمة أُذنه إلىٰ عاتقه مسيرة سبعمائة عام**». [أخرجه أبو داود].

وهذا يدل علىٰ عظيم خلقة الملائكة.

* علىٰ صورةٍ جميلة؛ بمعنىٰ: منظرهم حسن، كما قال عن جبريل: ﴿ذُو مِرَّةٍ

﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾ [النجم:٦]؛ أي: ذو منظرٍ حسن، والنسوة اللاتي رأين يوسف قُلن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٞ﴾ [يوسف:٣١]؛ لأنه متقررٌ عندهم أن الملائكة صورهم جميلة.

* لهم أجنحة، كما قال تعالىٰ: ﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر:١].

* لهم أكف، ويسمعون، ويجلسون، وينزلون إلىٰ غير ذلك مما جاء في نصوص الكتاب والسنة.

كيفية الإيمان بالملائكة:

الإيمانُ بالملائكةِ إما أن يكون إيمانًا مُجملًا، وإما أن يكون إيمانًا مُفصلًا.

والإيمان المُجمل: هو القدر الذي من لم يأتِ به لا يكون مؤمنًا بالملائكة.

وهو: الإيمان بوجود الملائكة، فمن لم يؤمن بوجود الملائكة فلا يصح أن يُقال عنه إنه مؤمنٌ بالملائكة.

قال الله -جل وعلا-: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ﴾ [هود:٦٩-٧٠]، فقد دلَّت هذه الآية علىٰ أن الملائكة موجودون أحياء ينطقون.

ووجود الملائكة لم يُنكره إلا شواذ، بل حتىٰ مكذبو الرسل -كقوم نوحٍ وقوم عادٍ إلىٰ غير ذلك- يؤمنون بوجود الملائكة، فقد قالوا: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ [المؤمنون:٢٤].

والإيمان المُفصل: وهو الإيمان الذي يكون تبعًا للعلم بنصوص الكتاب والسنة.

وهو ينقسم إلىٰ أقسام:

- **القسم الأول**: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه، فالنصوص التي جاءت بتسمية بعض الملائكة، كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك خازن النار، ومُنكر ونكير، وهاروت وماروت، فهؤلاء يجب أن نؤمن بأسمائهم علىٰ التفصيل.

وهنا أنبه: أنه ليس من أسماء الملائكة: عزرائيل؛ لأنه لم يرد نصٌّ من الكتاب والسنة بذلك، وإنما وردت بتسميته ملك الموت.

وعليه فلا نسميه عزرائيل، وإنما نتوقف فيه، ونقول: الله أعلم باسمه.

- **القسم الثاني**: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، فإذا علمنا من خلال نصوص الكتاب والسنة صفةً للملائكة فيجب أن نؤمن بها علىٰ التفصيل، كعلمنا أن جبريل له ستمائة جناح، إلىٰ غير ذلك مما جاءت به النصوص.

- **القسم الثالث**: الإيمان بما علمنا من أعمالهم، فالملائكة أمرهم الله -جل وعلا- بأعمال، فهم لا يعصون الله -جل وعلا- ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، فإذا علمنا شيئًا من أعمالهم عن طريق الكتاب والسنة فيجب أن نؤمن به علىٰ سبيل التفصيل، كما علمنا أن الموكل بالوحي جبريل، فنؤمن أن جبريل مُوكل

بالوحي، وأن ميكائيل موكل بالقطر، وأن ملك الموت موكل بقبض الأرواح، وأن من الملائكة كتبة، كما قال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف:٨٠].

إلىٰ غير ذلك من أعمال الملائكة .

ننتقل إلىٰ مسألةٍ مهمة: وهي أثر الإيمان بالملائكة علىٰ اعتقاد العبد وسلوكه:

فالإيمان بالملائكة يُثمر محبتهم؛ لأنهم لا يعصون الله -جل وعلا- ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

وإذا أحب العبدُ الملائكةَ والاهم وعادىٰ من يُعاديهم.

كذلك يُثمر أن الملائكة مع قوتهم وما آتاهم الله -جل وعلا- من علمٍ ومن بسطةٍ في ذواتهم إلىٰ غير ذلك، لا يستحقون أن يُعبدوا، فإذا كانت الملائكة لا تستحق أن تُعبد فمن دونهم من باب أولىٰ.

ويُثمر الإيمان بالملائكة علىٰ سلوك العبد: الاقتداء بهم، فإذا كانت الملائكة مُطيعين لله، فإننا نقتدي بهم في طاعة الله ﷻ ، كذلك نخاف من الله ونُراقبه لأنهم يُسجلون أعمالنا ويكتبونها، فهذا كله من ثمرات الإيمان بالملائكة.

نواقض الإيمان بالملائكة :

- **الناقض الأول:** الإيمان ببعضهم دون بعضٍ، كما فعلت اليهود؛ فإنهم آمنوا ببعض الملائكة دون بعضٍ، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ

نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:٩٧]، وقال: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٩٨].

- **الناقض الثاني:** اعتقاد أنهم بنات الله، كما كان يعتقده بعض مشركي العرب، قال تعالىٰ: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ [الإسراء:٤٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف:١٩].

سؤال: هل الملائكةُ ذكورٌ أو إناث؟

والجواب: الملائكة عباد الله، فلا نصفهم بالذكور ولا بالإناث، وإنما نقول كما قال ربنا: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٦].

- **الناقض الثالث:** اعتقاد أنهم يستحقون شيئًا من العبادة؛ فمن اعتقد أن الملائكة تستحق شيئًا من العبادة، فقد انتقض عنده الإيمان بالملائكة، والله -جل وعلا- يقول: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٨٠].

فاعتقاد أنهم يستحقون شيئًا من العبادة سمَّاه الله -جل وعلا- كُفرًا.

- **الناقض الرابع:** اعتقاد أنهم يعلمون الغيب المطلق، وهذا مخالفٌ لقوله -جل وعلا-: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥]، فلا أحد يعلم الغيب المُطلق إلا ربنا -جل وعلا-.

ثم كيف يعلمون الغيب وقد قال ربنا -جل وعلا-: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:٣١]، فقالت الملائكة: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢]، فدلَّ ذلك على أنهم لا يعلمون الغيب.

- **الناقض الخامس:** تنقص الملائكة، فمن تنقص الملائكة، واستخف بهم، واحتقرهم؛ فقد انتقض عنده الإيمان بالملائكة، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨].

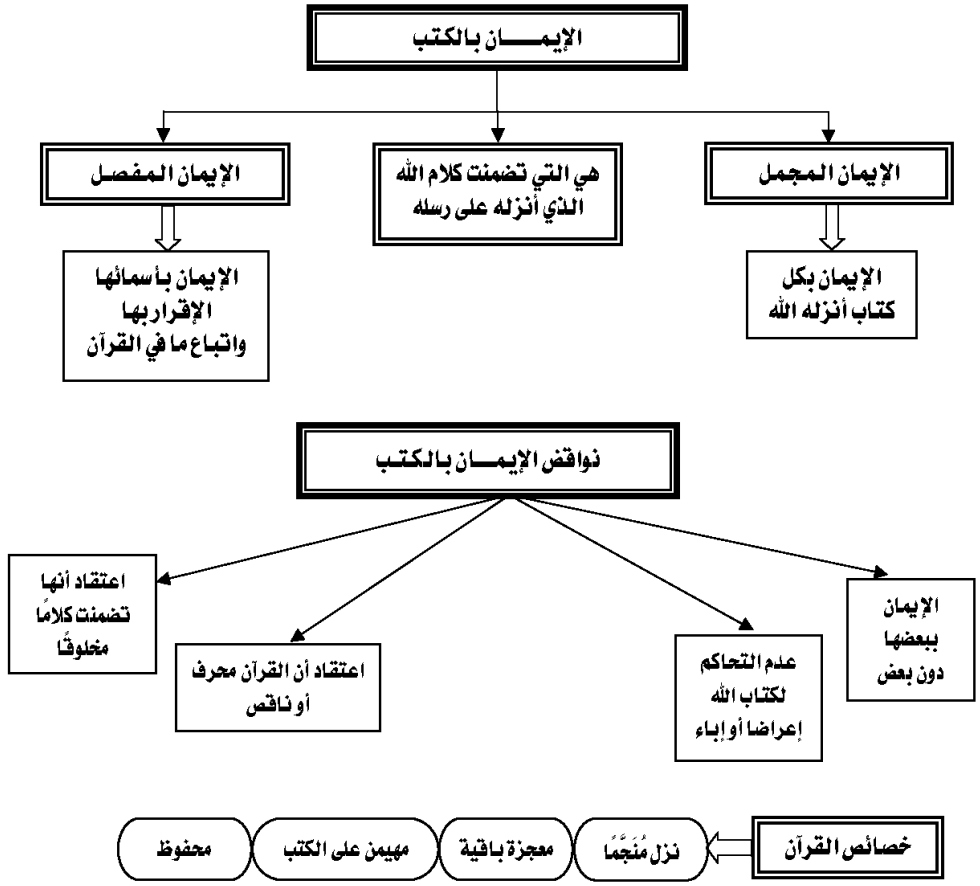

الكُتب التي يجب علينا أن نؤمن بها: هي ما تضمنت كلام الله الذي أنزله الله علىٰ رُسله.

قال الله –جلا وعلا–: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٧٥]، فدلَّ ذلك علىٰ أن الكتب التي أنزلها الله علىٰ رسله قد تضمنت كلامه –جل وعلا–.

*** كيفية الإيمان بالكتب:**

الإيمان بالكتب يكون مجملًا، ومفصلًا.

- **والإيمان المُجمل بالكتب:** هو القدر الذي من لم يأتِ به لا يكون مؤمنًا بالكتب.

وهو: الإيمان بكل كتابٍ أنزله الله علىٰ سبيل الإجمال.

قال الله -جل وعلا-: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورىٰ: ١٥]، و«ما» هنا موصولة تفيد العموم؛ بمعنىٰ: آمنت بكل ما أنزل الله من كتاب، فمن لم يؤمن بكل كتابٍ أنزله الله -جل وعلا- علىٰ سبيل الإجمال لا يكون مؤمنًا بالكتب.

- **والإيمان المُفَصَّل بالكتب علىٰ أقسام:**

القسم الأول: الإيمان بما سمَّىٰ الله -جل وعلا- من الكتب، فكل كتابٍ سمَّاه الله -جل وعلا- فيجب علينا أن نؤمن به بعينه، فقد سمَّىٰ الله -جل وعلا- التوراة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة:٤٤]، فيجب علينا أن نؤمن بأن هناك كتابًا أنزله الله اسمه التوراة، وكذلك الإنجيل كما قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ [الحديد:٢٧].

والزبور، كما قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء:١٦٣].

وصُحف إبرَاهِيمَ وموسىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٩].

القسم الثاني: الإيمان بالكتب السابقة يكون بالإقرار بها، فنُقر بالتوراةِ والإنجيل والزبور، وأما القُرآن فالإيمان به يكون بالإقرار والاتباع.

القسم الثالث: القرآن نسخ أحكام الكتب السابقة، فإذا كان القُرآن ناسخًا فيجب علينا اتباعه دون غيره من الكُتب.

*** نواقض الإيمان بالكتب:**

الناقض الأول: الإيمان ببعض الكتب والكفر ببعضٍ، فمن آمن بالتوراة ولم يؤمن بالقُرآنِ لم يكن مؤمنًا بالكتب، ومن آمن بالقُرآنِ ولم يؤمن بالتوراة والإنجيل لم يكن مؤمنًا بالكتب، وإنما الواجب الإيمان بجميع كتب الله -جل وعلا-.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة:٩١].

الناقض الثاني: عدم التحاكم لكتاب الله إعراضًا أو شكًّا أو استكبارًا، فمن أعرض عن التحاكم لكتاب الله، أو شك في صلاحية حكم الله، أو استكبر عن حكم الله فإنه يكون قد أتىٰ بناقضٍ من نواقض الإيمان بالكتب، كما هي حال المنافقين؛ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء:٦١]، وقال الله-جل وعلا-: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٤٧].

الناقض الثالث: اعتقاد أن القُرآن مُحرفٌ أو ناقص، وهذا فيه تكذيبٌ لله -جل وعلا-؛ لأن الله يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

ويقول-جل وعلا-: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٢]، فمن اعتقد أن القُرآن مُحرف أو ناقص؛ فقد أتىٰ بناقضٍ من نواقض الإيمان بالكتب.

الناقض الرابع: اعتقاد أن الكتب تضمنت كلامًا مخلوقًا.

وهذه مسألة مهمة: فمن اعتقد أن الكتب تضمنت كلامًا مخلوقًا فهو في الحقيقة لم يؤمن بالكتب التي أنزلها الله؛ لأن الكتب التي يجب علينا أن نؤمن بها تضمنت كلام الله، وكلام الله ليس مخلوقًا، فكلام الله خرج منه، وما خرج من الله فإنه لا يكون مخلوقًا.

فالله-جل وعلا- تكلم بالكتب حقيقةً.

وأختم بخصائص ميَّز الله بها القرآن عن غيره من الكتب السابقة:

من تلك الخصائص:

١- أن القُرآن نزل مُنجمًا حسب الوقائع؛ بمعنىٰ أن القُرآن لم ينزل دفعةً واحدة، وإنما نزل مُفرَّقًا بحسب الوقائع، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء:١٠٦].

أما الكتب السابقة فقد نزلت جملةً واحدة، قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ ﴾، فجاء الجواب من عند الله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ

بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان:٣٢].

٢- أن القُرآن معجزة النبي ﷺ الباقية إلىٰ قيام الساعة، فالقُرآن باقٍ إلىٰ أن يرفعه الله -جل وعلا- في آخر الزمان، فهو معجزة النبي ﷺ الباقية، ولهذا كان حُجة علىٰ العالمين إلىٰ قيام الساعة، كما قال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١]، بينما معجزات الأنبياء قد مضت وانتهت، بخلاف القُرآنِ.

٣- أن القُرآن مُهيمنٌ علىٰ ما بين يديه من الكتب، فهو حاكمٌ وشهيدٌ ومصدقٌ لِمَا بين يديه من الكتب، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة:٤٨].

ومن هيمنته: أنه ناسخٌ للكتب السابقة، فلا يُعمل إلا بكتاب الله -جل وعلا-.

٤- أن القُرآن محفوظٌ من التبديل والتغيير؛ كما قال -جل وعلا-: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٢]؛ لأن الذي تكفل بحفظ القُرآنِ هو الله ﷻ، وإذا كان الله سبحانه هو المُتكفل به فلن يلحقه تبديلٌ ولا تغيير، كما قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

بينما الكتب السابقة دخلها التحريف؛ لأن الله -جل وعلا- جعل الأحبار والرُّهبان هم الذين يحفظون كتبهم، كما قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾ [المائدة:٤٤].

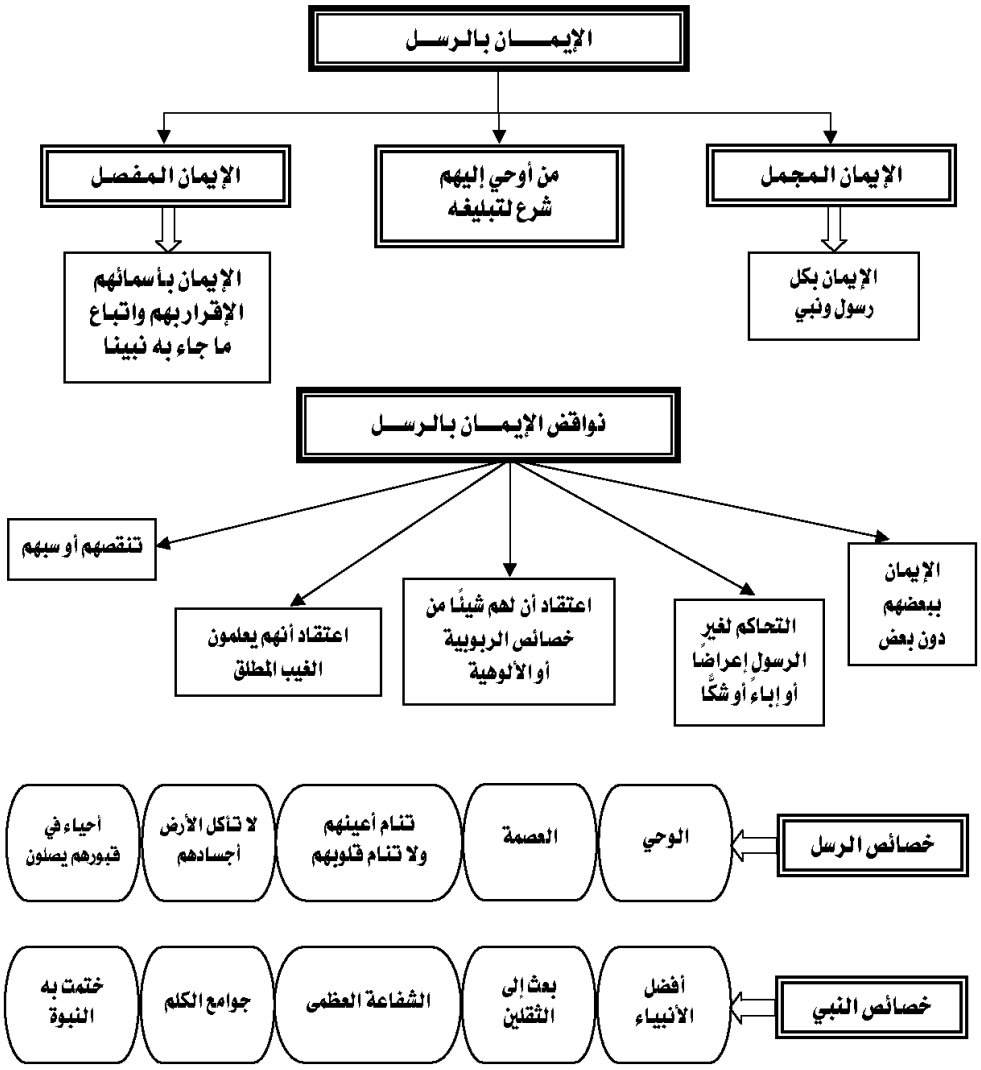

الإيمان بالرسل: هو الركن الرابع من أركان الإيمان الستة، فمن لم يأتِ به فإنه لا يكون مؤمنًا.

والرسل: هم من أوحي إليهم شرعٌ لتبليغه.

*** كيفية الإيمان بالرسل:**

الإيمان بالرسل يكون: مجملًا، ومفصلًا.

والإيمان المجمل: هو القدر الذي من لم يأتِ به لا يكون مؤمنًا بالرسل.

وهو: الإيمان بكل رسولٍ أو نبيٍ علىٰ سبيل الإجمال.

دليله: قوله -جل وعلا-: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء:١٥٢]، و«رُسل» هنا جمع مُضاف، والجمع المُضاف يُفيد العموم؛ أي: آمنوا بالله وجميع رُسله، فهذا قدرٌ لابد أن يأتي به العبد.

الإيمان المفصل هو:

١- الإيمان بمن سمَّىٰ الله من الرسل، فكل رسولٍ سماه الله -جل وعلا- وجب الإيمان به بعينه.

وأسماء الرسل في القُرآنِ بلغت خمسةً وعشرين اسمًا.

والأنبياء لا يعلم عددهم إلا الله، ولم يأتِ نصٌّ صحيحٌ عن رسول الله ﷺ في ذلك، وأما الرُّسل فقد ورد الحديث الصحيح أن عددهم ثلاثمائة وخمسةَ عشر.

٢- الإيمان بمحمد ﷺ يكون بالإقرار به واتباعه، وأما بقية الرُّسل فيكون بالإقرار بهم فقط؛ لأنه بمجيء رسول الله ﷺ نُسخت شرائع الرسل قبله، ولهذا

قال ﷺ: «**لو كان موسىٰ حيًّا ما وسعه إلا اتباعي**» [أخرجه البغوي في «شرح السنة»]، وعيسىٰ عليه السلام لما يأتي في آخر الزمان يكون حاكمًا بشريعة رسول الله ﷺ.

٣- الإيمان بأن كل رسولٍ بلَّغ ما أرسل إليه، فجميع الرسل بلغوا ما أرسلوا به من عند الله -جل وعلا-.

هذا هو الإيمان المفصل وهو تابعٌ للعلم، فكُلَّما بلغك نصٌّ من كتاب الله متعلِّقٌ بالرسل، وجب عليك أن تؤمن به علىٰ سبيل التفصيل.

*** نواقض الإيمان بالرسل:**

- **الناقض الأول**: الإيمان ببعض الرسل دون بعضٍ، فمن آمن ببعض الرسل وكفر ببعضٍ فقد ارتكب ناقضًا من نواقض الإيمان بالرسل، فيكون كافرًا؛ قال الله -جل وعلا-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء:١٥٠-١٥١]، فمن فرق بين الرسل في الإيمان بهم يكون كافرًا.

- **الناقض الثاني**: التحاكم لغير الرسول ﷺ إعراضًا أو استكبارًا أو شكًّا، فمن تحاكم لغير الرسول مُعرضًا عن حكم الرسول، أو شاكًا في صلاحية حكم الرسول، أو مستكبرًا عن حكم الرسول فإنه يكون كافرًا، وهذه هي حال المنافقين: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النور:٤٧].

- **الناقض الثالث:** اعتقاد أن الرسل والأنبياء لهم شيء من خصائص الربوبية أو الألوهية، فمن اعتقد في الرسل أنهم يتصرفون في الكون، وأنهم يملكون إنزال المطر، أو أنهم يستحقون العبادة من دون الله ﷻ فقد نقض إيمانه بالرسل.

قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:١٧]، فحكم الله -جل وعلا- بالكفر علىٰ من جعل عيسىٰ هو الله.

وقال الله-جل وعلا-: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة:٧٥]، فمن يأكل الطعام لا يصح أن تُصرف له العبادة؛ لاحتياجه.

وقال -جل وعلا-: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان:٢٠]، فمن كان هذا حاله فإنه لا يستحق أن يُعبد، ولا يُمكن أن يتصرف في الكون.

وقد أمر الله الرسل أن يقولوا: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف:١١٠]، فهم بشر ميَّزهم الله -جل وعلا- بالوحي.

- **الناقض الرابع:** اعتقاد أنهم يعلمون الغيب المُطلق، وهذا تكذيبٌ لقول الله ﷻ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥]، وقوله: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨].

فدلَّ ذلك علىٰ أن الأنبياء لا يعلمون الغيب، ومن اعتقد أنهم يعلمون الغيب فقد نقض إيمانه بالرسل.

- **الناقض الخامس:** تنقص الرسل والاستخفاف بهم أو سبهم، فمن سبَّ الرسل أو تنقصهم فإنه يكون قد أتىٰ بناقضٍ من نواقض الإيمان بالرسل، قال الله -جل وعلا-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب:٥٧].

*** خصائص الرسل:**

تميز الرسل عن غيرهم من البشر بخصائص؛ منها:

أولًا: الوحي عن طريق جبريل، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف:١١٠]، فهو بشر لكنه تميز بالوحي.

ثانيًا: العصمة: فقد عصمهم الله -جل وعلا- فيما يبلغونه عن الله، فلا يُمكن أن يقعوا في الخطأ فيما يبلغونه عن الله، قال الله -جل وعلا-: ﴿مَّن

﴿يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، فأوجب الله طاعة الرسول، فلو لم يكن معصومًا لَمَا وجبت طاعته.

ثالثًا: تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، كما جاء في «الصحيح» أن النبيﷺ قال: «**يا عائشة، إن عيني تنامان ولا ينام قلبي**» [أخرجه البخاري ومسلم]، وفي الحديث الآخر: «**وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم**» [أخرجه البخاري].

رابعًا: أن الأرض لا تأكل أجسادهم، ويُدفنون حيث يموتون، كما جاء في الحديث أن النبيﷺ قال: «**إن الله حرَّم علىٰ الأرضِ أجساد الأنبياء**» [أخرجه أبو داود]، فلا يُمكن أن تأكل الأرض أجساد الأنبياء وإنما تبقىٰ.

كذلك يُدفنون حيث يموتون، كما قالﷺ: «**ما قبض الله نبيًّا إلا في الموطن الذي يُحب أن يُدفن فيه**» [أخرجه الترمذي]، ولهذا دُفن النبيﷺ في بيت عائشة؛ لأنه قُبض في بيت عائشة رضي الله عنها.

خامسًا: أنهم أحياءٌ في قبورهم يصلون، كما جاء في الحديث: أن النبيﷺ قال: «**الأنبياء أحياءٌ في قبورهم يصلون**» [أخرجه أبو يعلىٰ]، وهي حياةٌ برزخية ليست كحياتنا، فهي حياةٌ غيبية، وبالتالي لا يصح أن نطلب منهم شيئًا.

*** خصائص النبيﷺ:**

تميز نبينا ﷺ عن غيره من الرسل بخصائص؛ منها:

أولًا: أنه أفضل الأنبياء، فليس هناك نبي أفضل من نبيناﷺ.

وقد فضَّل الله بين الأنبياء، فقال: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة:٢٥٣].

والدليل علىٰ أنه أفضل الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليه- أنه قال: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**» [أخرجه مسلم]، فهو سيدهم، وأحب الخلق إلىٰ الله -جل وعلا-.

ثانيًا: أن الله بعثه إلىٰ الثقلين: الجن والإنس، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ:٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣٢].

وأما غيره من الأنبياء فبعثوا إلىٰ أقوامهم خاصة.

ثالثًا: أن الله خصَّه بالشفاعة العُظمىٰ يوم القيامة، كما قال تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩]، وهذا المقام المحمود، هو: الشفاعة.

رابعًا: أنه أُعطي جوامع الكلم، فيتكلم بالكلمة الواحدة وتحتها معانٍ كثيرة، ولهذا قال ﷺ: «**فُضلت علىٰ الأنبياء بستٍّ**، وذكر منها: **أنه أُعطي جوامع الكلم**» [أخرجه مسلم].

خامسًا: أن الله ختم به النبوة، فليس هناك نبيٌّ بعد رسول الله ﷺ، كما قال تعالىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٠]، فليس هناك بعد نبينا نبيٌّ.

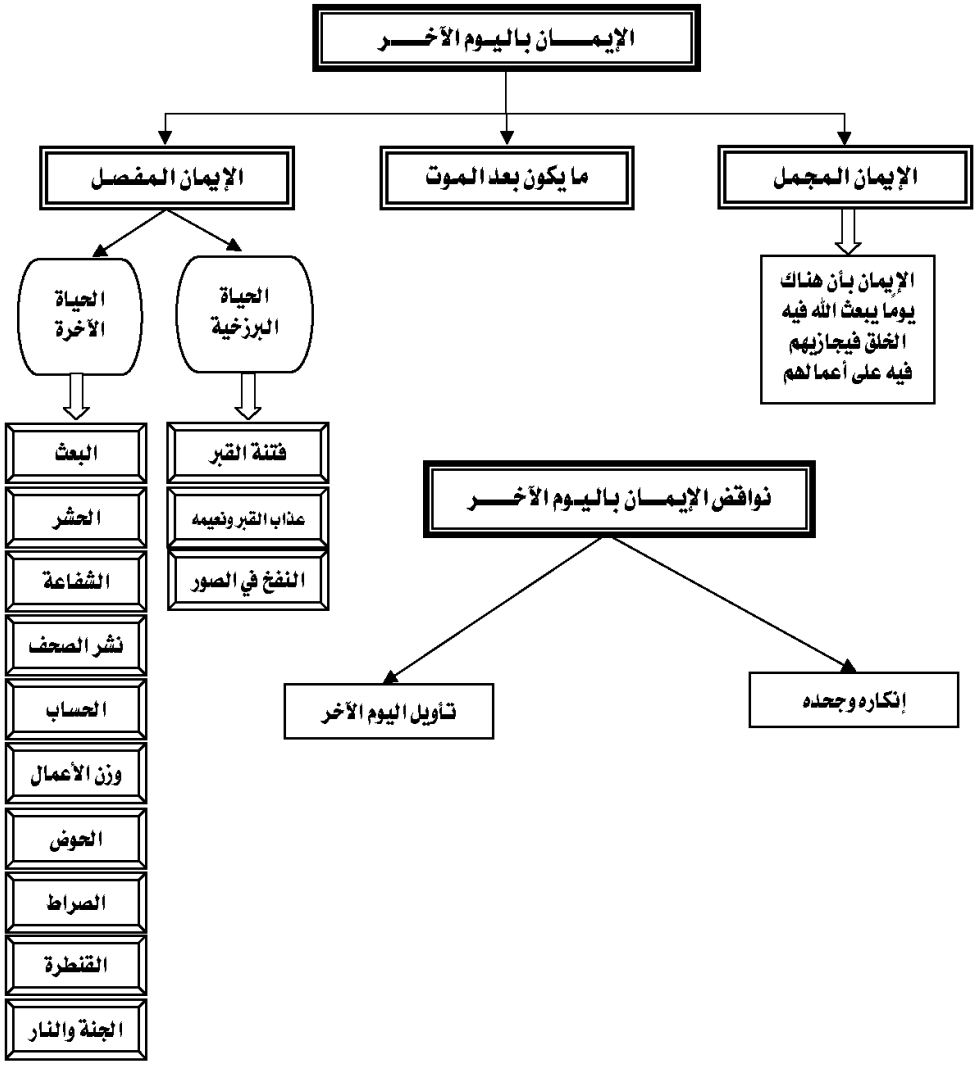

اليوم الآخر: هو كل ما يكون بعد الموت.

وسُمِّي باليوم الآخر؛ لأنه لا يوم بعده.

وقد تنوعت أسماؤه في نصوص الكتاب والسنة: فسُمِّي باليوم الآخر، ويوم القيامة، ويوم التنادي، ويوم التغابنِ، والطامة، والحاقة، والقارعة، والصاخة، إلىٰ غير ذلك.

وتنوع الأسماء يدل علىٰ أهميته، فحريٌّ بكل مُسلمٍ أن يعرف تفاصيله؛ حتىٰ يحذر من أهوال هذا اليوم، وحتىٰ يكون دافعًا له لامتثال أوامر الله -جل وعلا-، واجتناب نواهيه، ولا يكون كالذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الجاثية:٣٤]، فحذر الله -جل وعلا- ممن غفل عن هذا اليوم، وأنه سيتركه.

*** كيفية الإيمان باليوم الآخر:**

الإيمان باليوم الآخر: يكون مجملًا ومفصلًا.

- **والإيمان المجمل باليوم الآخر:** أن تؤمن أن هناك يومًا يبعث الله فيه الخلائق؛ فيجازيهم علىٰ أعمالهم.

- **والإيمان المُفصل: يدخل تحته:** معرفة الحياة البرزخية والإيمان بها، ومعرفة الحياة الآخرة والإيمان بها.

والحياة البرزخية: هي الحياة التي تكون بين الدنيا والآخرة.

وتبتدئ بالموت وتنتهي بالبعث، فإذا مات الإنسان قامت حياته البرزخية، وإذا بُعث انتهت حياته البرزخية، ودخل في حياةٍ أخرىٰ.

والحياة البرزخية يدخل تحتها: فتنة القبر، ونعيم القبر وعذابه، والنفخ في الصور.

فتنةُ القبر: هي الاختبار والامتحان الذي يكون في القبر.

وليس هناك اختبارٌ أعظم من هذا الاختبار؛ إذ بهذا الاختبار ستتحدد حياة العبد هل سيعيش في نعيم أو عذاب؟

وقد جاء في الحديث «الصحيح»: أن النبي ﷺ قال: «**إذا قُبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر، والآخر: النكير، فيسألانه...**» [أخرجه الترمذي].

فإذا مات الإنسان بدأت فتنته؛ فيأتيه ملكان أسودان أزرقان، فيجلسانه ويسألانه: مَن ربك؟ ما دينك؟ مَن نبيك؟

وبعض الناس يظن أن هذه الأسئلة إجابتها سهلة علىٰ كل أحد، وأنه يستطيع أن يجيب عليها يوم القيامة، والأمر ليس كذلك.

فلن يُجيب عليها إلا من وفَّقه الله وكان من أهل الإيمان.

فأما المُؤمن فيقول: «ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمدﷺ».

وأما الكافر فيقول: «هاه هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته».

هي فتنةٌ عظيمة، وقد كان نبيناﷺ يستعيذ منها.

بعد هذه الفتنة نعيمٌ أو عذاب.

- **نعيم القبر وعذابه: بمعنىٰ**: النعيم والعذاب الذي يكون في الحياة البرزخية.

دلَّ عليه: قول الله -جل وعلا-: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ

﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٥-٤٦].

فآل فرعون يُعرضون علىٰ النار قبل قيام الساعة؛ أي: في الحياة البرزخية.

ومن الأدلة أيضًا: أن النبي ﷺ مرَّ علىٰ قبرين -كما في صحيح البخاري- فقال: «**إنهما ليعذبان وما يُعذبان في كبير**»، فأثبت أنهم يُعذبان وهما في القبر، وهذا يدل علىٰ أن هناك عذابًا في الحياة البرزخية.

وفي «صحيح مسلم»: أن النبي ﷺ قال: «**لولا ألَّا تدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع**».

والنبي ﷺ كان يستعيذ من عذاب القبر دُبر كل صلاة.

كذلك هناك نعيم في القبر؛ فالشُّهداء أرواحهم في جوف طيرٍ خُضر يتنعمون.

عن مسروق قال: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، قال: «أَمَا إِنَّا قد سألنا عن ذلك، فقال: **أرواحهم في جوف طير خُضر، لها قناديل معلقةٌ بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلىٰ تلك القناديل**» [أخرجه مسلم].

وإثبات نعيم القبر وعذابه دَلَّ عليه أيضًا الإجماع.

* **النفخ في الصور:**

الصور: هو قرنٌ يُنفخ فيه.

والنافخ: هو إسرافيل؛ ثبت ذلك بالإجماع.

فإسرافيل ينتظر إذن الله -جل وعلا- في النفخ حتىٰ ينفخ في الصور.

فإذا أذن له، ونفخ في الصور، صعق مَن في السموات والأرض، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨].

وهما نفختان:

- نفخةُ الفزع والصعق.

- نفخة البعث.

النفخة الأولىٰ هي التي تكون في الحياة البرزخية، فإذا نفخ إسرافيل النفخة الأولىٰ فزع مَن في السموات والأرض إلَّا مَن شاء لله، ثم صُعقوا.

هذه هي النفخة التي تكون في الحياة البرزخية.

بعد النفخة الأولىٰ تنتهي الحياة البرزخية، وتبدأ الحياة الآخرة.

فإذا نفخ إسرافيل النفخة الثانية بعث الناس من قبورهم.

* **البعث:** هو إحياء الموتىٰ وإخراجهم من قبورهم .

قال تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن:٧].

فيُبعث الناس علىٰ ما كانوا عليه في الدنيا، فمن عاش علىٰ شيء مات عليه، ومن مات علىٰ شيءٍ بُعث عليه.

فمن عاش علىٰ الموسيقىٰ والأغاني والمُسلسلات ومات علىٰ ذلك، فإنه سيبعث علىٰ ذلك، فالإنسان عليه أن يحذر وأن يُقبل علىٰ طاعة الله -جل وعلا-، وأن تكون حياته مشغولةً بطاعة الله، حتىٰ إذا جاءه الموت مات علىٰ طاعة الله، فَيُبعث علىٰ طاعة الله.

بعد البعث يأتي الحشر.

* **والحشر**: هو جمع الخلق وسَوقُهم إلىٰ أرض المحشر.

فأما الكفار: فيحشرون علىٰ وجوههم: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا﴾ [الإسراء:٩٧]، نعوذ بالله من الخِذلان.

وأما أهل الإيمان: فيحشرون في إكرام: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾ [مريم:٨٥]؛ فهنيئًا لأهل الإيمان.

إلىٰ أين يحشرون؟

يحشرون إلىٰ أرض المحشر؛ وهي أرضٌ غير أرضنا: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [إبراهيم:٤٨].

بيضاء إلىٰ حُمرة، واسعة -هي: عرصات يوم القيامة-، ليس فيها علامة، فيُحشر الناس علىٰ هذه الأرض.

وهذه الأرض من إكرام الله لأهل الإيمان يجعلها لهم كالرغيف يأكلون منها، وهذا خاصٌّ بأهل الإيمان.

ويُحشر أيضا الدَّواب والأنعام، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، فالخلق كلهم يُحشرون إلىٰ أرض المحشر.

فإذا حُشر الناس علىٰ هذه الأرض طال عليهم ذلك اليوم، فهو يومٌ عظيم، فيه أهوالٌ عظيمة؛ تنشق الأرض، وتكور النجوم، وتُهدم الجبال.

فيشتد علىٰ الناس ذلك اليوم؛ لطوله، ولعظم هوله، فيتلمسون الشفاعة، فيذهبون إلىٰ آدم فيعتذر، فيقول: «**نفسي نَفسي، لقد غضب الربُ اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله**»، ثم يذهبون إلىٰ نوح، ثم يذهبون إلىٰ إبراهيم، ثم إلىٰ موسىٰ، ثم إلىٰ عيسىٰ، فكلهم يعتذر.

ثم يذهبون إلىٰ حبيبنا ونبينا وشفيعنا ﷺ فيقول: «**أنا لها**» فيسجد تحت العرش، ويحمد الله -جل وعلا- بمحامد لا يُحسنها في الدنيا، ثم يقال له: «**ارفع رأسك، وسل تُعطه، واشفع تُشفع**» [أخرجه البخاري ومسلم]، فيشفع في الخلائق كلهم من أجل أن يُسارع الله -جل وعلا- حسابهم.

وهذه هي الشفاعة العظمىٰ التي يغبطه عليه الأولون والآخرون ﷺ.

بعد ذلك تُنشر الصحف وتوزع.

وهي: الصُّحف التي كُتب فيها أعمال بني آدم.

فآخذٌ كتابه بيمينه، وآخذٌ كتابه بشماله من وراء ظهره.

فالمؤمن يأخذ كتابه بيمينه؛ فيفرح ويقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة:١٩-٢٠].

ويكون جزاؤه: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:٢١-٢٤].

وأما الكافر فيأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره، ويقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٥-٢٩].

ويكون جزاؤه: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الفاتحة:٣٠-٣٢]. إلىٰ آخر الآيات.

بعد نشر الصحف يأتي الحساب.

والحساب: هو إيقافهم علىٰ أعمالهم؛ حتىٰ يُجازيهم عليها.

والحساب علىٰ قسمين:

- حساب يسير، وهو: العرض.

- حساب عسير، وهو: النقاش.

وأما الحساب اليسير: فهو أن تُعرض علىٰ المُؤمنِ ذنوبه، فيقول له الرب -جل وعلا- بعد أن يختلي به: «**ألم تفعل يوم كذا ذنب كذا؟ ألم تفعل يوم كذا ذنب كذا؟ فيقول: أَيْ رَبِّ، هلكتُ، فيقول الله-جل وعلا-: إني سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم**» [أخرجه البخاري ومسلم].

ربٌّ غفور رحيم، يستر ذنوب عباده، فالمؤمن تُعرض عليه ذنوبه، ثم تُغفر له، هذا هو العرض.

وأما الحساب العسير: فهو أن يوقف الإنسان علىٰ ذنوبه بعد أن يُفضح بين الخلائق ثم يُعذب عليها، ولا تغفر له.

قالﷺ: «**من نوقش الحساب يهلك**» [أخرجه البخاري].

بعد الحساب يأتي وزن الأعمال، فيضع الله -جل وعلا- الميزان.

والميزان: هو الآلة التي توزن بها الأشياء، وله كِفتان.

فتوزن فيه الأعمال والصحائف، وكذلك العبدُ نفسه قد يوزن.

وبوزن الأعمال يظهر عدل الله -جل وعلا-، فلا يظلم الله -جل وعلا- أحدًا: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:٨-٩].

بعد الوزن هناك حوضٌ.

وهو: مجمع الماء الذي نصبه الله -جل وعلا- يوم القيامة لنبيهﷺ.

هذا الحوض: ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلىٰ من العسل، آنيته كعدد نجوم السماء، من شرب منه شربةً لا يظمأ بعدها أبدًا.

فهو حوضٌ عظيم لا يشرب منه إلا أهل الإيمان، ويُطرد منه المرتدون وأهل البدع، فلا يشربون من حوض رسول الله ﷺ.

بعد الحوض هناك الصراط.

وهو: الجسر الذي علىٰ متن جهنم.

هذا الجسر مَن مرَّ عليه كان من الناجين، ومن لم يمر كان من أهل النار.

يجوزه الناس علىٰ قدر أعمالهم: فمنهم من يمر كالريح، ومنهم كالبرق، ومنهم كالخيل، ومنهم من يزحف زحفًا.

وحوله خطاطيف وكلاليب تسحب من أُمرت بسحبه فتلقيه في نار جهنم.

وأهل الإيمان يجعل الله لهم نورًا فيتبعونه علىٰ الصراط.

والناسُ في الصراط ما بين ناجٍ، ومدفوعٍ في نار جهنم.

والناجون: منهم: من هو ناجٍ مُسلَّم، ومنهم: من هو ناجٍ مخدوش.

بعد الصراط يقفون علىٰ القنطرة.

وهي: الجسر بين الصراط والجنة.

فينقون؛ فلا يبقىٰ في قلوبهم غلٌّ ولا حسدٌ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧].

فمن جاوز القنطرة دخل الجنة، ومن سقط من الصراط كان في النار.

والجنة: هي الدار التي أعدها الله -جل وعلا- لأوليائه، فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر.

وأعظمُ نعيمٍ في الجنةِ: هو رؤية الله -جل وعلا-: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

هذه الجنة لا يدخلها إلا أولياؤه، وهم الذين مروا من الصراط.

والنار: هي الدار التي أعدها الله -جل وعلا- لأعدائه.

وعقيدة أهل السنة والجماعة في الجنة والنار، أنهما:

- **مخلوقتان موجودتان الآن،** كما قال سبحانه في الجنة: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال في النار: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١]؛ أي: أنها هُيئت وانتُهي منها.

- **لا تفنيان ولا تبيدان،** فأهل الجنة خالدون فيها أبدًا، وأهل النار خالدون فيها أبدًا، قال الله في الجنة: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾ [النساء:٥٧].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾ [الواقعة:٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧].

*** ننتقل إلىٰ قضيةٍ مهمة: وهي نواقض الإيمان باليوم الآخر:**

- **الناقض الأول:** إنكاره وجحده، كما عليه أهل الكُفر، وكما عليه الدهريون؛ فإنهم يُنكرون اليوم الآخر، قال الله -جل وعلا-: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [المطففين:١٠-١٢]، فتوعدهم الله -جل وعلا- بالويل.

وقال تعالىٰ: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الجاثية:٣٤]، فمن نسي لقاء الله -جل وعلا-، فإن الله -جل وعلا- يتركه ويُعذبه.

- **الناقض الثاني:** تأويل اليوم الآخر وما يحدث فيه، فمن تأَوَّل اليوم الآخر فقد وقع في ناقضٍ من نواقض الإيمان باليوم الآخر، كمن يأتي ويقول: الميزان: هو العدل، وليس هناك ميزان حقيقي، والصراط: هو معنوي وليس هناك صراط حسي.

هذا كله من النواقض، والنواقض منها ما يكون راجعًا لأصل الإيمان باليوم الآخر، ومنها ما يكون راجعًا إلىٰ كمال الإيمان الواجب باليوم الآخر.

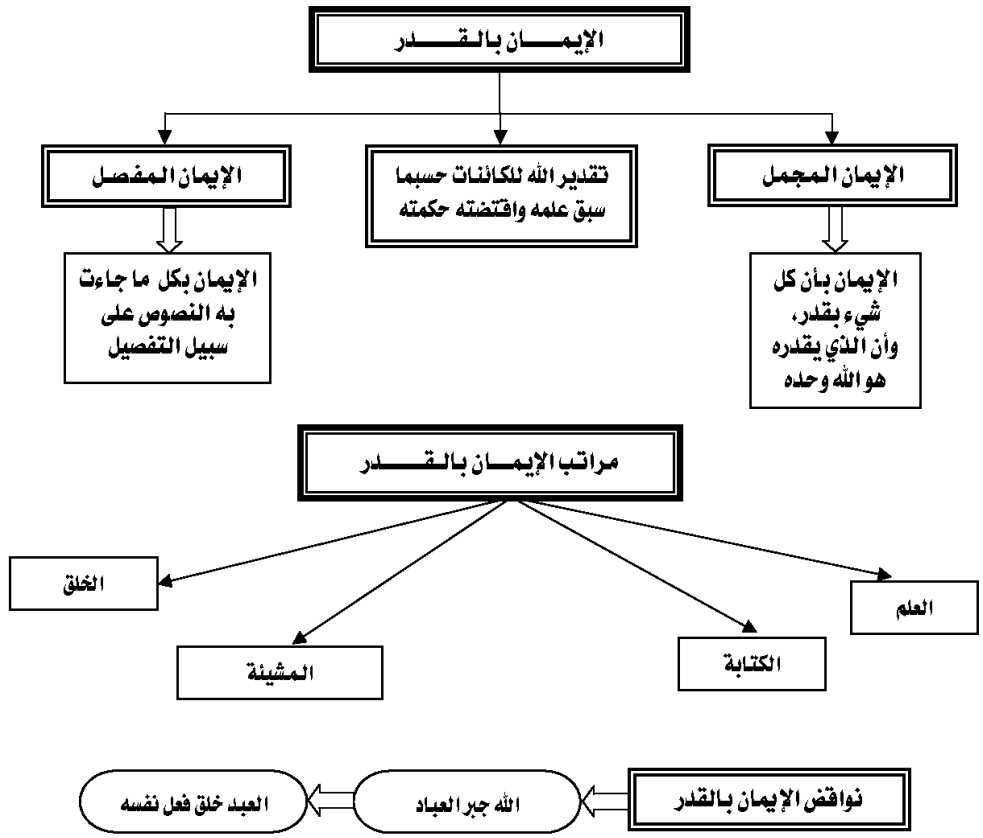

القدرُ: هو تقدير الله -جل وعلا- للكائنات حسبما سبق علمه واقتضته حكمته.

والإيمان بالقدر؛ إما أن يكون إيمانًا مُجملًا، وإما أن يكون إيمانًا مُفصلًا.

- **والإيمان المُجمل**: أن تؤمن أن كل شيءٍ بقدر، وأن الذي قدره هو الله -جل وعلا- وحده.

- **والإيمان المُفصل**: كل ما وردت به النصوص علىٰ سبيل التفصيل مما يتعلق بالقدر.

فما يتعلق بالهداية والإضلال، وما يتعلق بالحكمة، وما يتعلق بالأسباب وعدم منافاتها للقدر، كل ذلك داخلٌ في الإيمان المُفصل.

والإيمان بالقدر يقوم علىٰ مراتب تُعدُّ أركانًا له؛ فمن لم يأتِ بها لا يكون مؤمنًا بالقدر.

وهذه المراتب، هي:

- العلم.
- الكتابة.
- المشيئة.
- الخلق.

المرتبة الأولىٰ: العلم: والمراد به: علم الله -جل وعلا- الأزلي المحيط بكل شيء، كما قال تعالىٰ: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه:٩٨]، فيعلم ما كان -أي: في الماضي-، وما يكون -أي: في المُستقبل-، وما لم يكن لو كان كيف يكون، فالمعدوم يعلمه لو قُدر وجوده، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٢-٢٣].

فلا يُمكن أن يقع شيء خلاف القدر؛ لأن القدر متعلقٌ بعلم الله الأزلي، والله لا تخفىٰ عليه خافية.

المرتبة الثانية: الكتابة: وهي ما كُتب في اللوح المحفوظ، فإن الله -جل وعلا- خلق القلم وأمره أن يكتب في اللوح المحفوظ كل ما هو كائن إلىٰ يوم القيامة.

والذي أمر بالكتابة هو الله ﷻ .

وما كُتب في اللوح المحفوظ لا يُمكن أن يتبدل أو يتغير؛ لأنه موافقٌ للعلم الأزلي، فما علمه الله -جل وعلا- أزلًا مما هو كائنٌ إلىٰ يوم القيامة قد أمر بكتابته في اللوح المحفوظ.

دليل الكتابة: قوله -جل وعلا-: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس:١٢].

والكتابة كتابتان:

١- كتابةٌ في اللوح المحفوظ.

٢- كتابةٌ في صحف الملائكة.

فما كُتب في اللوح المحفوظ لا يُمكن أن يتغير ولا أن يتبدل؛ لكن ما كُتب في صُحف الملائكة قد يطرأ عليه التبديل والتغيير.

المرتبة الثالثة: المشيئة: وهي إرادته الكونية -جل وعلا-، فكل ما في الكون إنما هو بمشيئة الله، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

وأما مشيئة العبدِ فهي تابعةٌ لمشيئة الله، وداخلةٌ تحت مشيئة الله -جل وعلا-، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان:٣٠].

المرتبة الرابعة: الخلق: وهو أن الله -جل وعلا- هو الخالق وحده، فالله خالق وما سواهُ مخلوق، قال الله -جل وعلا-: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢]، فالعبدُ وفعله داخلان تحت خلق الله -جل وعلا-، فالله هو الذي خلق العبد وفعله.

قد يقول قائل: كيف خلق الله فعل العبد، وفعل العبد يُنسب إليه؟

قيل: الله ﷻ خلق في العبد: الإرادة والقُدرة، وفعل العبد إنما يكون بإرادته وقُدرته، فإذا كان الله -جل وعلا- قد خلق الإرادة والقدرة، فإنه يكون أَيضًا خالقًا لما يكون بالإرادة والقدرة.

فالله هو الذي أعطىٰ العبد الإرادة والقُدرة، فما نتج عن الإرادة والقدرة يكون خلقًا لله.

فلا يخرجُ شيءٌ عن خلق الله سبحانه.

*** ننتقل إلىٰ قضية مهمة: وهي نواقض الإيمان بالقدر:**

- الناقض الأول: اعتقاد أن الله جبر العباد علىٰ أفعالهم، فمن اعتقد أن العبد لا قُدرة له ولا فعل له، وأن الله جبره علىٰ فعله؛ فإنه يكون قد نقض عنده الإيمان بالقدر.

فالعبد له قدرة، وله إرادة، فهو الذي فعل، والفعل يُنسب إليه.

أُقرِّب هذا بمثال: العبد عندما يُصلي تُنسب الصلاة إليه؛ لأنه هو الذي باشر الفعل، لكن الذي خلق العبد وصلاته هو: الله ﷻ .

فالفعل يُضاف إلىٰ العبد؛ لكونه باشره، فيقال: العبد هو المُصلي، ويُضاف إلىٰ الله خلقًا، فيقال: الله خلق العبد وصلاته.

أما الجبرية فيقولون: الله هو الذي يُصلي؛ لأن الله جبره علىٰ الفعل.

هؤلاء هم الجبرية.

- **الناقض الثاني:** اعتقاد أن العبد خلق فعل نفسه، فمن اعتقد أن العبد هو الذي خلق فعل نفسه؛ بمعنىٰ: هو الذي خلق الصلاة مثلًا، فهذا ناقضٌ من نواقض الإيمان بالقدر؛ لأن الذي خلق هو الله ﷻ ، فليس هناك خالقٌ إلا الله.

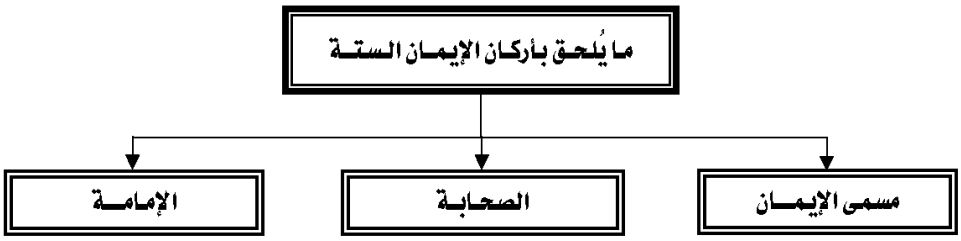

هذا من لواحق أركان الإيمان الستة، وإنما تكلم فيها أهل العقائد؛ لأن المُخالفين في هذه القضايا هم أهل البدع، فلما اشتهر خلافهم لأهل السنة في هذه المسائل، ذكرها أهل السنة في باب الاعتقاد؛ إلحاقًا بأركان الإيمان الستة.

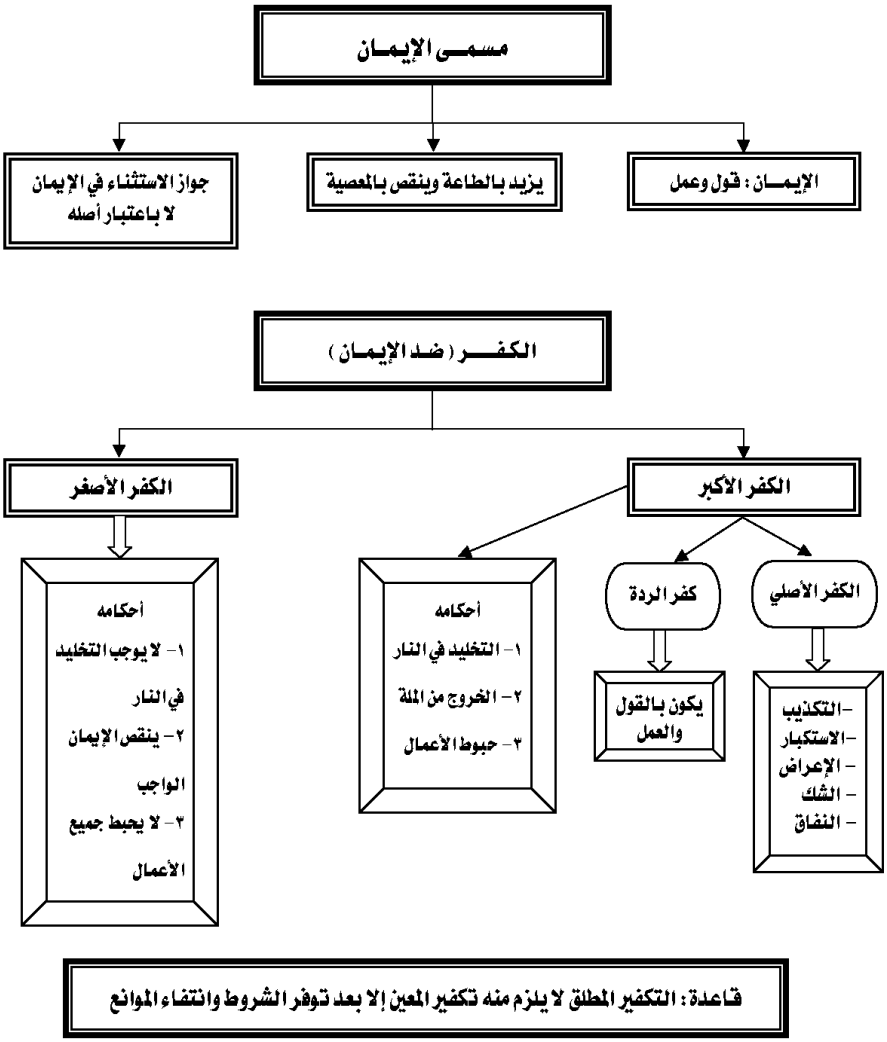

مسمَّىٰ الإيمان عند أهل السنة يدخل تحته مسائل؛ من تلك المسائل:

١- الإيمانُ قولٌ وعمل.

٢- الإيمانُ يزيد وينقص.

٣- جواز الاستثناء في الإيمان.

*** المسألة الأولىٰ: الإيمانُ قولٌ وعمل.**

الإيمان عند أهل السُّنة والجماعة يُريدون به: القول والعمل، بمعنىٰ: قول القلب -وهو الاعتقاد-، وقول اللسانِ، وعمل القلب، وعملُ الجوارح، كل هذه الأمور يُطلق عليها الإيمان.

فقول القلب يُسمىٰ إيمانًا، وقول اللسان يُسمىٰ إيمانًا، وعمل القلب يُسمىٰ إيمانًا، وعمل الجوارح يُسمىٰ إيمانًا، فالإيمان يشمل كلَّ قولٍ وكل عمل.

وهذا قد دلَّ عليه الشرع؛ فالإيمان لفظٌ شرعيٌّ إنما يؤخذ من الكتاب والسنة، وقد دلَّت نصوص الكتاب والسنة علىٰ أن الإيمان قولٌ وعمل:

دليلُ دخول قول القلب في مُسمىٰ الإيمان: قول الله -جل وعلا-: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات:١٥]، فجعل الإيمان مُعلَّقًا بنفي الشك، ونفيُ الشكِّ محله القلب، فدلَّ ذلك علىٰ أن المراد بالإيمان هنا هو: قول القلب.

أما قول اللسان فدليله: قوله -جل وعلا-: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦].

فأطلق الإسلام علىٰ قوله: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾، فجعلهم مُسلمين؛ لأنهم قالوا: آمنا بالله، والمراد بالقول: هو قول اللسان، فدلَّ ذلك علىٰ أن قول اللسان داخلٌ في مُسمَّىٰ الإيمان.

أما عمل القلب فدليله: قول الله -جل وعلا-: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٢-٤]. والوجل من أعمال القلوب، وقد سمَّاه إيمانًا.

أما عمل الجوارح فدليله: قول الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]. وبإجماع أهل العلم أن المراد بالإيمان هنا: الصلاة، فقد كانوا يُصلون إلىٰ بيت المقدس ثم نُسخت الصلاة إلىٰ بيت المقدس، فقال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾؛ أي: صلاتكم.

هذه الأمور الأربعة يجمعها: قول النبي ﷺ «في الصحيح»: «**الإيمان بضعٌ وسبعون** -أو: **بضعٌ وستون**- **شُعبة: أعلاها قول (لا إله إلا الله)، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من شُعب الإيمان**» [أخرجه مسلم].

وقول: (لا إله إلا الله) يدخل فيه قول القلب -وهو اعتقاد القلب بـ(لا إله إلا الله)-، ويدخل فيه قول اللسان -وهو النطق بها-.

وقوله: «**وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق**»، هذا عملٌ من أعمال الجوارح.

وقوله: «**والحياءُ شعبةٌ من شُعب الإيمان**»، هذا عملٌ من أعمال القلوب.

فالنبي ﷺ -وهو الصادق المصدوق- في هذا الحديث جعل الإيمان شُعبًا وأجزاءً.

فالإيمان من أجزائه القول، ومن أجزائه العمل.

*** المسألة الثانية: الإيمان يزيد وينقص.**

الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فالإنسان إذا فعل الطاعة زاد إيمانه، وإذا فعل المعصية نقص إيمانه بقدر المعصية التي فعلها، قال الله -جل وعلا-: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران:١٧٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر:٣١].

وأَيضًا ينقص بالمعصية كما قال ﷺ: «**ما رأيت من ناقصات عقلٍ ودين أذهب لذي لُبٍّ من إحداكن**» [أخرجه البخاري ومسلم]، ثم فسَّر نقص الدين بأنها إذا حاضت لا تُصلي.

فدلَّ ذلك علىٰ أن الإيمان قد ينقص، ونقصه يكون إما بالمعصية، وإما بعدم فعل الطاعةِ إذا كان معذورًا، فيكون في مقابل من فعل الطاعةَ قد نقص إيمانه.

بمعنىٰ: عندنا امرأتان: امرأة حاضت وامرأة لم تحض، فالمرأة التي لم تحض ستُصلي الصلوات، والمرأة التي حاضت لن تُصلي، فهذه المرأة التي حاضت بالنسبة للمرأة التي لم تحض أكثر إيمانًا؛ لأنها تُصلي وهذه لا تُصلي وإن كانت معذورة لا تأثم.

*** المسألة الثالثة: جواز الاستثناء في الإيمان.**

بمعنىٰ: أنه يجوز للعبد أن يقول: أنا مؤمنٌ إن شاء الله، أنا مؤمنٌ أرجو؛ لكن

المراد بالإيمان الذي يجوز الاستثناء فيه هو: كمال الإيمان.

بمعنىٰ: فعل جميع الأوامر وترك جميع النواهي؛ لكون الإيمان أجزاء وشعبًا.

ولا شك أنه ليس هناك أحدٌ يجزم أنه فعل جميع المأمورات وترك جميع المنهيات، فإذا كان مقصوده بالإيمان كمال الإيمان فيجوز له أنه يستثني؛ بل قد يجب عليه أن يستثني.

كذلك إذا كان مراده بالإيمان: القبول عند الله، فلا يدري هل قُبل إيمانه أو لا؟، فيستثني؛ لأن الله -جل وعلا- يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧].

كذلك يجوز له أن يستثني في الإيمان خوفًا من تزكية النفس؛ لأن الله يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:٣٢]، وهذا مبنيٌّ علىٰ أن المراد بالإيمان هو كمال الإيمان الواجب، فمن شهد علىٰ نفسه أنه قد أتىٰ بكمال الإيمان فقد زَكَّىٰ نفسه.

وبهذا أختم ما أردتُ بيانه في مسمَّىٰ الإيمان.

*** ولمَّا كان كلامنا عن الإيمان، ناسب أن أتكلم عن ضده وهو: الكُفر:**

فالكُفر هو ضد الإيمان.

والكُفر ينقسم إلىٰ:

١- الكُفر الأكبر.

٢- الكُفر الأصغر.

الكفر الأكبر يُناقض الإيمان من كل وجه، فيذهب بأصل الإيمان؛ لأنه ضده، فمن جاء بالكفر الأكبر انتفىٰ عنه الإيمان.

والكفر الأكبر ينقسمُ إلىٰ قسمين:

١- الكفر الأصلي.

٢- كفر الرِّدة.

- القسم الأول: الكفر الأصلي: وهو الذي لم يأتِ بالإيمان أصلًا، وينقسم إلىٰ:

- التكذيب.

- الاستكبار.

- الإعراض.

- الشك.

- النفاق.

الأول: التكذيب: بمعنىٰ: أن يعتقد كذب الرسل.

الثاني: الاستكبار: بمعنىٰ: أن يستكبر عن الإيمان، كحال إبليس: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤]، فهو يعرف الله ﷻ، وقد أقسم بعزته، لكنه لم يؤمن استكبارًا.

الثالث: الإعراض: بمعنىٰ: أن يُعرض عن سماع الرسول فلا يُصدقه ولا يُكذبه، فهذا أَيضًا كفرٌ أصليٌّ.

الرابع: الشك: بمعنىٰ: أن يشك في صدق الرسول.

الخامس: النفاق: وهو الذي يُبطن الكفر ويُظهر الإسلام.

- القسم الثاني من الكفر الأكبر: كُفر الرِّدَّة: بأن يكون قد أتىٰ بالإيمان لكنه جاء بناقضٍ من نواقض الإيمان.

وكفر الرِّدَّة: قد يكون بقول القلب، وقد يكون بقول اللسان، وقد يكون بعمل القلب، وقد يكون بعمل الجوارح.

فقول القلب؛ كأن يشك في شيءٍ من فرائض الله ﷻ، أو أن يجحد شيئًا من فرائض الله ﷻ.

وقول اللسان؛ كأن يسب الله ﷻ أو يسب دينه.

وعمل القلب؛ كأن يُبغض النبي ﷺ وما جاء به.

وعمل الجوارح؛ كأن يسجد لقبر أو يسجد لصنم.

فكما أن القول ناقضٌ من نواقض الإيمان؛ كذلك قد يكون العمل ناقضًا من نواقض الإيمان.

لكن عندنا قاعدة مهمة في كفر الردة، وهي: «التكفير المطلق لا يلزم منه تكفير المعين إلا بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع».

فمن وقع في كفر الردة لا نحكم عليه مباشرة، بل لابد من توفر الشروط وانتفاء الموانع.

فلو أن إنسانًا قال قولًا كُفريًّا، فلابد أن ننظر: هل توفرت فيه الشروط أو لا؟ هل كان مجنونًا؟ هل كان مُكرهًا؟ والله -جل وعلا- يقول: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦].

فإذن التكفير المُطلق لا يلزم منه تكفير المعين إلا بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع.

*** أحكام الكفر الأكبر:**

١- أن صاحبه مُخَلَّدٌ في نار جهنم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٦].

٢- يخرج صاحبه من الملة، فلا يكون مسلمًا.

٣- يُحبط عمل صاحبه، كما قال -جل وعلا-: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٥].

وأما الكفر الأصغر فيُناقض كمال الإيمان الواجب، فمن جاء بالكفر الأصغر لا يذهب عنه الإيمان بالكلية وإنما يبقىٰ أصله.

ومن أمثلته: قولهﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كُفارًا يضرب بعضكم رقاب بعضٍ**» [أخرجه البخاري، ومسلم].

فجعل القتل بغير حقٍّ كفرًا، والمراد به هنا: الكفر الأصغر؛ لأن الله -جل وعلا- شهد بالإيمان للمقتتلين في قوله -جل وعلا-: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ [الحجرات:٩]، فدلَّ ذلك علىٰ أن المراد بالكفر هنا في قوله: «**لا ترجعوا بعدي كُفارًا**»: الكفر الأصغر.

*** أحكام الكفر الأصغر:**

١- لا يخرج صاحبه من الملة، فمن قتل نفسًا بغير حقٍّ لا نقول بأنه كافر، وإنما هو مسلم.

٢- ينقص كمال الإيمان الواجب، فمن جاء بالكفر الأصغر فإنه ينقص إيمانه.

٣- لا يوجب تخليد صاحبه في النار، وإنما هو تحت المشيئة إن شاء -جل وعلا- عذبه، وإن شاء غفر له.

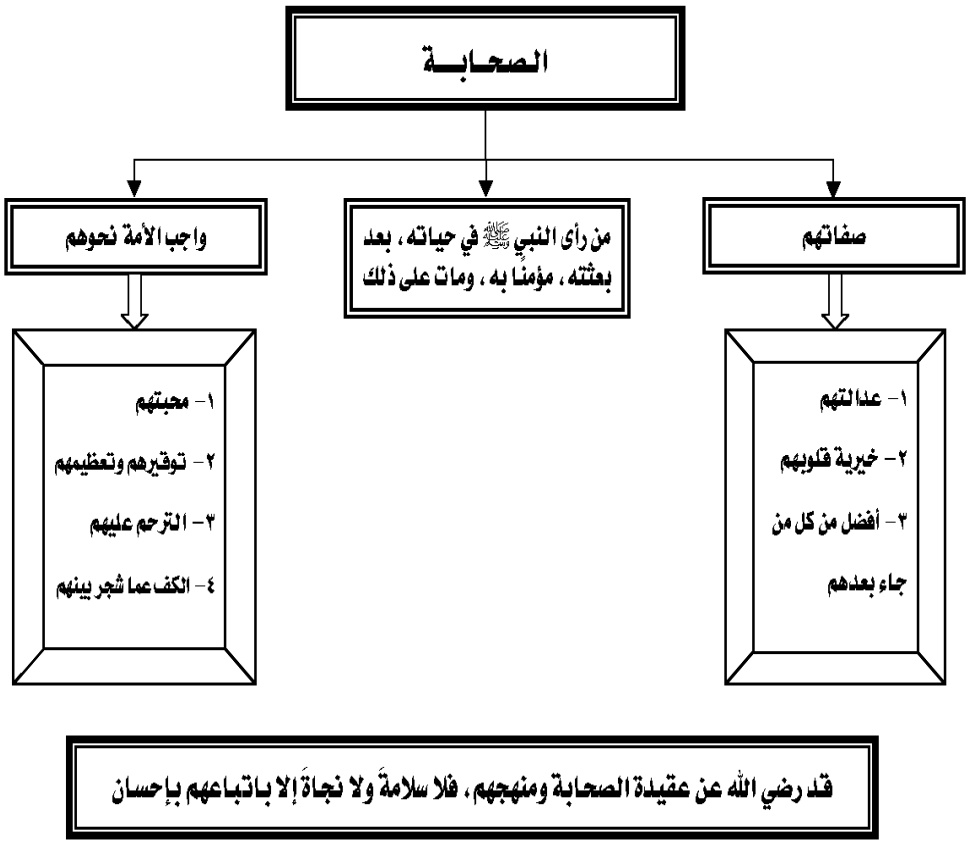

الصحابة: جمع صحابي.

والصحابيُّ: كل من رأىٰ النبي ﷺ في حياته، بعد بعثته، مؤمنًا به، ومات علىٰ ذلك.

فكل من رأىٰ النبي ﷺ ولو لحظة فإنه يكون صحابيًّا.

وهذه الرؤيا لابد أن تكون رؤية يقظة لا رؤية منام، فمن رأىٰ النبي ﷺ في منامه فإنه لا يُعد صحابيًّا.

ولابد أن يكون رآه يقظةً في حياته ﷺ، فمن رأىٰ النبي ﷺ يقظةً بعد موته فإنه لا يُعد صحابيًّا.

ولابد أن تكون في حياته ﷺ بعد بعثته، فمن رآه في حياته قبل بعثته لا يكون صحابيًّا؛ بل لابد أن يكون بعد بعثة رسول الله ﷺ.

ولابد أن يكون قد رآه مؤمنًا به، فمن رآه في حياته بعد بعثته وهو كافر فإنه لا يكون صحابيًّا.

ولابد أن يموت الرائي علىٰ الإيمان، فلو مات علىٰ الكُفر فإنه لا يُعد صحابيًّا.

يدل علىٰ هذا: ما جاء عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**طوبىٰ لمن رآني وآمن بي، وطوبىٰ لمن آمن بي ولم يرني** -سَبْعَ مِرَارٍ-» [أخرجه أحمد في «المسند»].

فدلَّ ذلك علىٰ أن الصحبة تثبت بمجرد رؤية النبي ﷺ، والأعمىٰ هو في حكم من رأىٰ.

هؤلاء هم الصحابة.

*** ما هي صفاتهم؟**

للصحابة صفات عظيمة، منها:

أولًا: أنهم عدول، فقد عدلهم الله -جل وعلا- من فوق سبع سموات: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ

ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١٠٠].

فتزكية الله -جل وعلا- للصحابة متضمنةٌ لعدالتهم، فالصحابةُ عدول من أولهم إلىٰ آخرهم؛ بتزكية الله لهم، وبتزكية رسول الله ﷺ، وقد قال الله -جل وعلا-: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد:١٠].

فالصحابة قد جاوزوا القنطرة.

ثانيًا: خيرية قلوبهم، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إنَّ اللهَ نَظَرَ في قُلُوبِ العِبادِ فَوَجَدَ قَلبَ مُحمَّدٍ ﷺ خَيرَ قُلُوبِ العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتَعَثَه برسالته، ثُمَّ نَظَرَ في قلوب العباد بَعدَ قَلبِ مُحمَّدٍ ﷺ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أصحابه ﷺ خَيرَ قُلُوبِ العباد، فجعلهم وُزَرَاءَ نَبِيِّه ﷺ، يقاتلون علىٰ دينِه» [أخرجه أحمد في «المسند»، وله حكم الرفع].

هذه الخيرية شهد بها الله عز وجل ، وهو العليم الخبير.

ثالثًا: أنهم أفضل من كل من جاء بعدهم، فآحاد الصحابة أفضل من كل من جاء بعد الصحابة؛ لخيرية قلوبهم؛ ولتزكية الله -جل وعلا- لهم.

فالأفضلية المُطلقة لآحاد أصحاب رسول الله ﷺ.

فليس هناك أحدٌ بعد الصحابة مهما ارتفعت منزلته أفضل من واحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ، وإن قَلَّت رؤيته.

*** واجب الأمة نحو الصحابة:**

أولًا: محبتهم؛ لأن الله يحب أصحاب رسول الله ﷺ؛ ولأن رسول الله ﷺ يُحب أصحابه.

قد يقول قائل: كيف عرفنا محبة الله لهم؟

قيل: لأنه قد رضي عنهم، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار، وأمر باتباع سُنتهم.

فإذن نحب الصحابة؛ لمحبة الله -جل وعلا-، ومحبة رسوله لهم.

وأيضًا لأن الصحابة -رضوان الله عليهم- هم نقلة الدين، الذي به نجاتنا عند الله ﷻ، فإذا كان الصحابة هم الذين نقلوا الدين الذي ننجو به عند الله فإننا نحبهم.

ثم هم قد جاهدوا من أجل نُصرة دين الله ﷻ، وهذا يوجب أيضًا محبتهم.

وجاء في «صحيح البخاري» عن البراء رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ -أو: قال: قال النبي ﷺ-: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**».

ثانيًا: توقيرهم وتعظيمهم، فنُعظِّم الصحابة، ونوقرهم؛ لعدالتهم، وخيرية قلوبهم، إلىٰ غير ذلك من صفاتهم.

ثالثًا: الترحم عليهم والاستغفار لهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ

بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر:١٠].

فمن علامة أهل السنة أنهم يترحمون علىٰ أصحاب رسول الله، ويستغفرون لهم، بخلاف أهل البدع.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أُمِرُوا أن يستغفروا لهم فسبوهم، ثم قرأت هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ الآية» [أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير»].

رابعًا: الكف عما شجر بينهم، فما حدث بين الصحابة الواجب الإمساك والكف عنه؛ لأننا إذا خضنا فيما شجر بين الصحابة فإن هذا يوجب بُغضهم، وهذا مُنافٍ لوجوب محبتهم.

فالكلام في مساوئهم، وعما شجر بينهم؛ يَجُرُّ إلىٰ بُغضهم، وبُغضهم مُحرم لا يجوز، وما جرَّ إلىٰ المُحرم فإنه يكون مُحرمًا.

فإذن الواجب: الكف عما شجر بين الصحابة.

وما حدث بين الصحابة هم فيه ما بين مُجتهدٍ مُصيب فله أجران، وما بين مُجتهدٍ مُخطئ فله أجرٌ واحد.

وكثير مما يُذكر فيما شجر بين الصحابة؛ إما أن يكون كذبًا، وإما أن يكون قد زيد فيه أو نُقص، أو يكون قد غُيِّر عن وجهه.

والسلامة: هي الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ.

*** هذا ما يتعلق بالصحابة، وعندنا قاعدة مهمة؛ وهي:** «قد رضي الله عن عقيدة الصحابة ومنهجهم، فلا سلامةَ ولا نجاةَ إلا باتباعهم بإحسان».

مصداق هذا في قوله -جل وعلا-: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠]، فمن أراد أن يرضىٰ الله -جل وعلا- عنه فليتبع الصحابة بإحسان: في عقيدتهم، ومنهجهم.

إذن لابد من اتِّباع أصحاب رسول الله ﷺ، فلا يُمكن أن تكون العقيدة صحيحة إلا باتباع أصحاب رسول الله، ولا يُمكن أن تكون العبادة صحيحة إلا باتباع أصحاب رسول الله ﷺ.

فمن أراد أن يدخل الجنة فعليه باتباع أصحاب رسول الله ﷺ، ومن أراد أن يرضىٰ الله عنه فليتبع أصحاب رسول الله ﷺ، أما سبهم والطعن فيهم وتكفيرهم فهذا ناقض من النواقض.

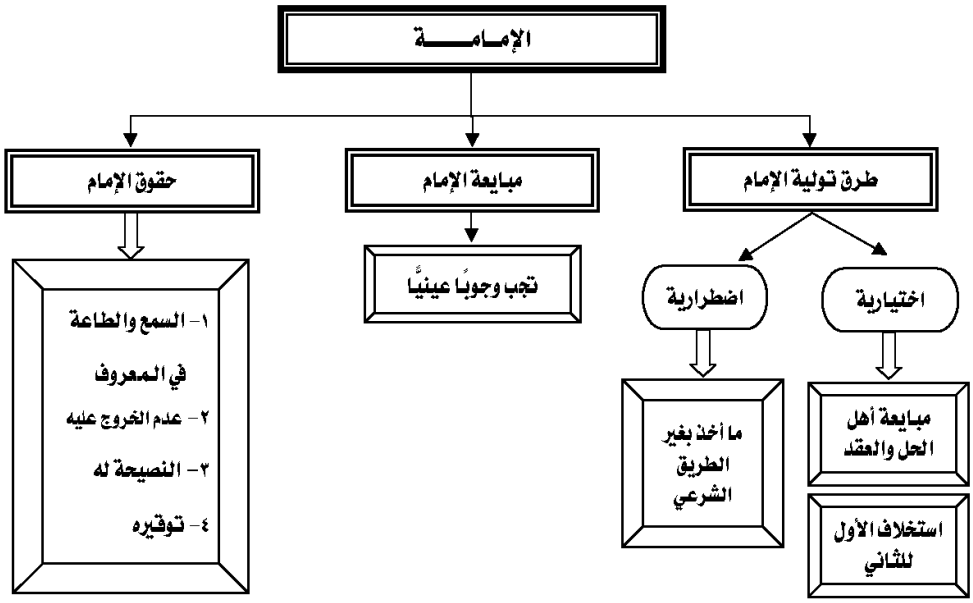

* **المراد بالإمام في باب الإمامةِ هو**: السلطان.

* **طُرق تولية الإمام:**

لتولية الإمام طريقتان:

- **الأولىٰ**: اختيارية.

- **الثانية**: اضطرارية.

أما الاختيارية، فهي: التي أُخذت من فعل الخُلفاء الراشدين، وهي سنة؛ لأن النبيﷺ أمر باتباعهم، فقالﷺ: «**عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**» [أخرجه أبو داود].

- **وهذه الاختيارية يندرج تحتها أمران:**

الأمر الأول: مبايعة أهل الحل العقد، فيبايع من توفرت فيه شروط الإمامة.

وأهل الحل والعقد؛ هم: أهل الشوكة الذين عندهم قوة.

ومثالها: مبايعة أهل الحل والعقد لأبي بكر وعليٍّ.

الأمر الثاني: استخلاف الأول للثاني، ويندرج تحته أمران:

١- أن يستخلف الأول لمعين واحدٍ ينص عليه، كما فعل أبو بكر مع عُمر، فأبو بكر استخلف عُمر، ونصَّ عليه.

٢- استخلافُ جماعةٍ يفوض الأمر إليها، كما فعل عُمر مع الستة، فاستخلف ستة، وجعل الأمر بينهم شورىٰ.

- **وأما الاضطرارية:** فهي ما أخذ بغير الطريق الشرعي، كالذي أُخذ بالقهر.

فمن تولىٰ بالقهر والغلبة أجمع أهل العلم علىٰ أنه يُصبح إمامًا إذا استتب له الأمر.

*** حكم مُبايعة الإمام:**

مُبايعة الإمام واجبةٌ وجوبًا عينيًّا علىٰ كل مُسلم؛ لقوله ﷺ كما في «صحيح مسلم»: «**ومن مات وليس في عُنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»، فَوَصْفُ الميتة بالجاهلية يدل علىٰ التحريم، فيحرم علىٰ الإنسان ألَّا يُبايع الإمام، والنهي عن الشيء أمر بضده، فيكون أمرًا بالمبايعة.

إلا أن أهل الحل والعقد هم الذين يُبايعون الإمام مُباشرة فيُصافحونه؛ وأما غير أهل الحل والعقد فتكون بيعتهم تبعًا لبيعة أهل الحل والعقد، فلا يأتي إنسان ويقول: أنا ليس في عنقي بيعة لأني لم أصافح الإمام؟

فمتىٰ ما بايع أهل الحل والعقد يصبح الإنسان مبايعًا تبعًا وحكمًا.

والمُبايعة يجب ألَّا تكون لأجل الدنيا، فمن بايع لأجل الدنيا فله عذاب أليم، كما جاء في الحديث: «**ورجل بايع إمامًا لا يُبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها وفىٰ له، وإن لم يُعطه منها لم يَفِ له**» [أخرجه البخاري].

*** حقوق الراعي علىٰ الرعية:**

للراعي حقوق تجب علىٰ الرعية:

- **الحق الأول:** السمع والطاعةُ في المعروف، فيجب علىٰ الإنسان أن يسمع ويُطيع للحاكم في المعروف؛ لقوله -جل وعلا-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء:٥٩]، فأمر بطاعة ولي الأمر، والأصل في الأمر: أنه للوجوب.

ومعنىٰ: «في المعروف»: أنه إذا أمر بمعصيةٍ فلا يطاع الإمام في هذه المعصية، وتثبت له الطاعة العامة في غيرها؛ لقوله ﷺ: «**علىٰ المرء المسلم: السمع، والطاعة، فيما أحب وكره، إلَّا أن يؤمر بمعصية، فإن أُمِر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**». [أخرجه البخاري، ومسلم].

- **الحق الثاني:** النصيحة له، فالنصيحة للحاكم تجب سرًّا فيما بينك وبينه؛ لقوله ﷺ: «**مَن كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يكلمه بها علانية، وليأخذ بيده، وليخل به، فإن قبلها قبلها، وإلا كان قد أدَّىٰ الذي عليه والذي له**» [أخرجه الحاكم]، وللمصلحة العامة.

فمن كانت عنده نصيحة للحاكم فيجب أن يخلو به ولا يكلمه بها علانية، ثم إن قبلها قبلها، وإلا كان قد أدَّىٰ الذي عليه، وأما الإنكار علىٰ الحُكام علانية فلا يجوز إلا في حالةٍ واحدة، وهي: إذا كان الحاكم أمامك، كما أُنكر علىٰ مروان بن الحكم.

عن طارق بن شهاب -وهذا حديث أبي بكر- قال: «أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، فقام إليه رجل فقال: الصلاة قبل الخطبة. فقال: قد تُرِكَ ما هُنَالِكَ. فقال أبو سعيد: أمَّا هذا فقد قضىٰ ما عليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**». [أخرجه مسلم]

وسبب تحريم الإنكار علانية: أنه يترتب عليه مفاسد عظيمة؛ من سفك الدماء، وانتهاك الأعراض، والفوضىٰ في البلاد، إلىٰ غير ذلك، والشريعةُ تمنع المفاسد سواءٌ كانت المفاسد خالصة أو راجحة.

- **الحق الثالث:** تعظيم السلطان، فيجب أن يُعظَّم السلطان؛ لأنه إن لم يُعظَّم لن يُسمع له ويُطاع، وقد جاء في «جامع الترمذي»: أن النبي ﷺ قال: «من

أهان سُلطان الله في الأرض أهانه الله».

- **الحق الرابع:** عدم الخروج علىٰ الحاكم المُسلم، فالحاكم المُسلم لا يجوز الخروج عليه وإن كان فاسقًا؛ للأدلة الدالة علىٰ وجوب السمع والطاعة، والأدلة الدالة علىٰ وجوب لزوم الجماعة.

وكذلك ما جاء في «صحيح مسلم»: أن النبيﷺ قال: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويُحبونكم، وتُصلون عليهم** -أي: تدعون-، **ويُصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذي تُبغضونهم ويُبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**.

فقال الصَّحَابَة: أفلا نُنابذهم بالسيف؟ فقالﷺ: **لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئًا تكرهونه، فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يدًا من طاعة**».

فنبيناﷺ هو الذي أرشد إلىٰ أن نكره العمل ولا ننزع يدًا من طاعة.

وفي الحديث الآخر في «صحيح البخاري»: «**تؤدُّون الذي لهم، وتسألون الله الذي لكم**».

وبالإجماع يحرم الخروج علىٰ الحاكم المسلم، إلا إذا أتىٰ كفرًا بواحًا عندنا فيه من الله بُرهان كما قالﷺ.

فلابد أن يكون كفرًا، وأن يكون الكفر بواحًا؛ بمعنىٰ: ظاهرًا بيِّنًا لا شُبهة فيه، عندنا فيه من الله بُرهان.

إذن متىٰ نخرج علىٰ الحاكم؟

إذا وقع في كفرٍ بواح، لكن لابد من الحكم عليه بالكفر بعينه، فليس بمجرد

وقوعه في الكفر يكون كافرًا؛ بل لابد من توفر الشروط وانتفاء الموانع.

فالإمام أحمد لَمَّا وقع الأئمة في عهده في القول بخلق القُرآن، وقد أجمع السلف علىٰ أن القول بخلق القُرآن كُفر، مع ذلك لم يوجب الخروج عليهم؛ لأنهم لم تتوفر فيهم شروط التكفير.

❀❀◈❀❀

*** وفي الختام أقول:**

هذه عقيدة أهل السُّنة والجماعة، عقيدة أصحاب رسول الله ﷺ، من استمسك بها كان ناجيًا، ومن انحرف عنها ضلَّ وكان متوعدًا بالنار.

وصل اللهم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسَلِّم.

❀❀◈❀❀

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥
مجمل أبواب الاعتقاد..... ٧
مصدر التلقي عند أهل السنة والجماعة..... ١٠
الإيمان بالله ١٣
ربوبية الله..... ١٧
أسماء الله وصفاته ٢٢
ألوهية الله ٣٠
الإيمان بالملائكة ٤١
الإيمان بالكتب ٤٨
الإيمان بالرسل ٥٣
الإيمان باليوم الآخر ٦١
الإيمان بالقدر..... ٧٣

ما يلحق بأركان الإيمان الستة ٧٨

مسمىٰ الإيمان ٧٩

الصحابة ٨٨

الإمامة ٩٤

الفهرس ١٠٠

من إصدارات المؤلف

أولًا: ما يتعلق بمجمل العقيدة:

- دروس مهمة لعامة الأمة في العقيدة.
- قواعد باب الاعتقاد.

ثانيًا: ما يتعلق بالإيمان بالله:

- تحرير القواعد المتعلقة بأحكام زيارة القبور والمشاهد.
- حكم الصلاة في المقبرة لغير قصد التعظيم.
- أسئلة مهمة متعلقة بالشرك الأصغر والجواب عنها.
- القواعد والضوابط السلفية في أسماء وصفات رب البرية.
- موافقة ابن تيمية لأئمة السلف في تقرير القواعد والضوابط المتعلقة بباب الأسماء والصفات.
- شرح قواعد الأسماء والصفات.
- شرح ضوابط الصفات.
- تحقيق معنىٰ الصورة في قوله ﷺ: «**خلق الله آدمَ علىٰ صورته**».
- أثر الإيمان بصفات الله في سلوك العبد.

ثالثًا: ما يتعلق ببقية أركان الإيمان:

- حقيقة الملائكة.
- الإيمان بالكتب بين إثبات السلف وتعطيل أهل الكلام.
- المَبَاحث العقدية المتعلقة بالإيمان بالرسل.
- الإيمان بما بعد الموت (مسائل ودلائل).
- قواعد أهل الأثر في الإيمان بالقدر.

رابعًا: ما يتعلق بالدفاع عن مذهب السلف، وشروح ما كتبوه:

- فصل المقال في وجوب اتباع السلف الكرام.
- حكم الذكر الجماعي عند أئمة السلف.
- تبصير الخلف بضابط الأصول التي من خالفها خرج عن منهج السَّلف.
- تبصير ذوي العقول بحقيقة مذهب الأشاعرة في الاستدلال بكلام الله والرسول ﷺ.
- براءة أئمة السلف من التفويض في صفات الله.
- الأجوبة السنية علىٰ افتراءات الأشعري سعيد فودة في نقض التدمرية.
- شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني.
- التعليقات السنية علىٰ مقدمة ابن عاشر الاعتقادية الأشعرية، وهو تعليق أيضًا علىٰ العقيدة السنوسية الصغرىٰ «أم البراهين».

خامسًا: ما يتعلق بأصول الفقه:

- دروس في أصول الفقه للمبتدئين.
- متن في أصول الفقه علىٰ اعتقاد أئمة السلف.
- القواعد الأصولية التي تُبنَىٰ عليها ثمرة عملية.
- شرح الورقات في أصول الفقه (مع التنبيه علىٰ المسائل الكلامية).
- شرح منهاج الوصول إلىٰ علم الأصول للبيضاوي (مع التنبيه علىٰ المسائل الكلامية).

سادسًا: ما يتعلق باللغة:

- المجاز في لُغَة العرب (قضية خيالية ذهنية).

اللّٰهُمَّ اجعل ذلك خالصًا لوجهك الكريم

وانفع به المسلمين